

فُصُولٌ مِنَ الْحَيَاةِ

بِقَلَمِ

الْقِسِّ حَسَنًا خُورِي

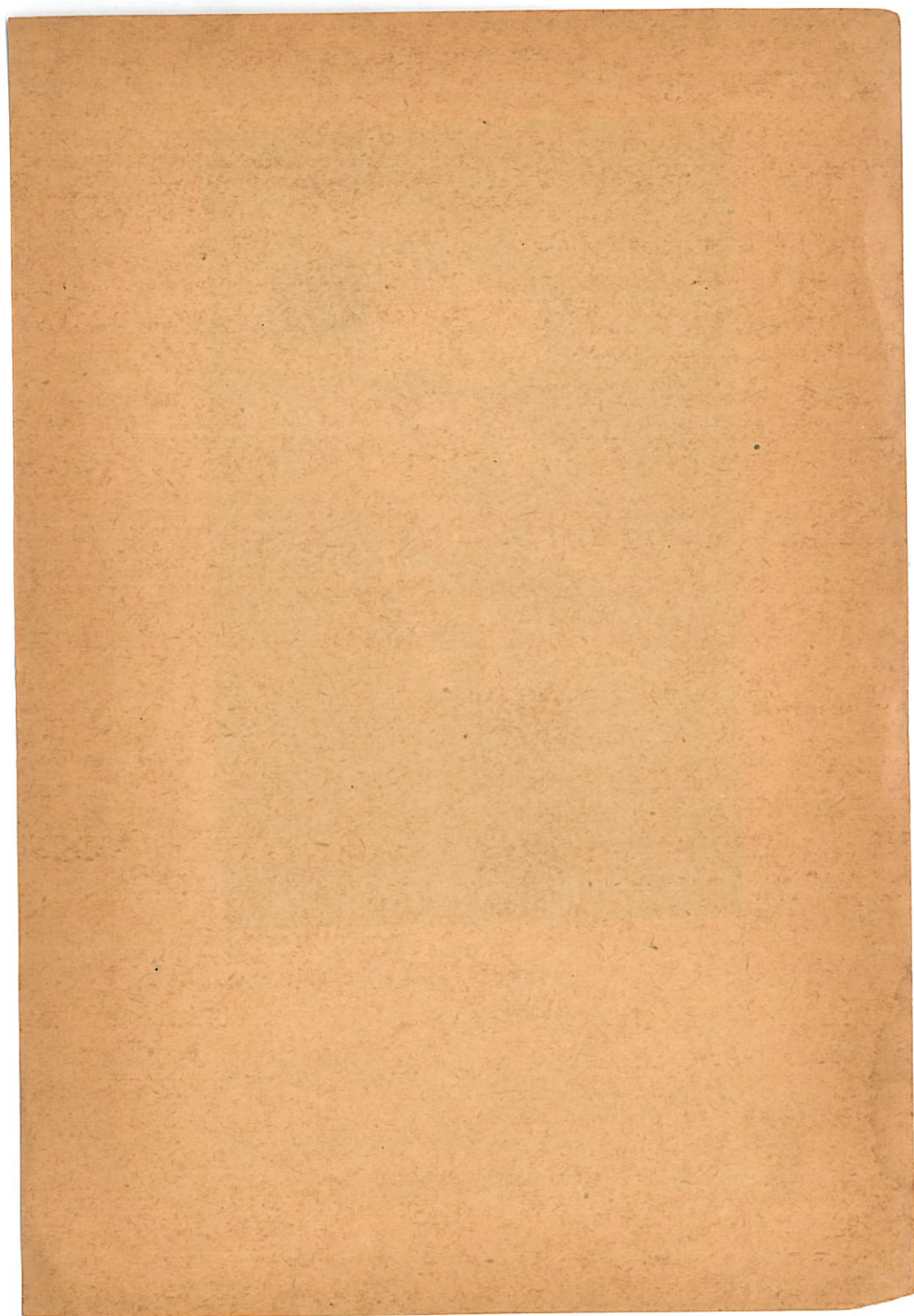
B. A. & B. D.

وَهِيَ تَبْحَثُ فِي نَشْوءِ الْحَيَاةِ وَتَطَوُّرِهَا وَنُمُوِّهَا وَتَقَدُّمِهَا وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ
بِهَذَا التَّطَوُّرِ مِنْذَ أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ صَالِحَةً لَهَا

الحقوق محفوظة للمؤلف



رَفَعْتَ لِوَاءَ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ
وَرَسَخْتَ لِلْأَدَابِ رُكْنَاً مَشِيداً
تَجْمَعُ فِيكَ النُّبْلُ وَالْخُلُقُ وَالْحَيَاةُ
جِهَاداً وَإِيمَاناً وَدِيناً وَمَحْتَداً
فَعِشْ عِلْماً حُرّاً لَأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ
تَعْمَدُ نَشْأاً أَوْ تَرَأْسَ مَعْهَداً



الافتاء

لقد اعتاد الكتاب ان يقدموا انتاجهم الأدبي الى
اعز الناس لديهم واكثرهم فضلاً عليهم. فعلى هذا القياس
لا اجد شخصاً احب الي واكثر فضلاً علي واجدر بهذا
الاكرام من المربي الفاضل صاحب النبل والارحية :

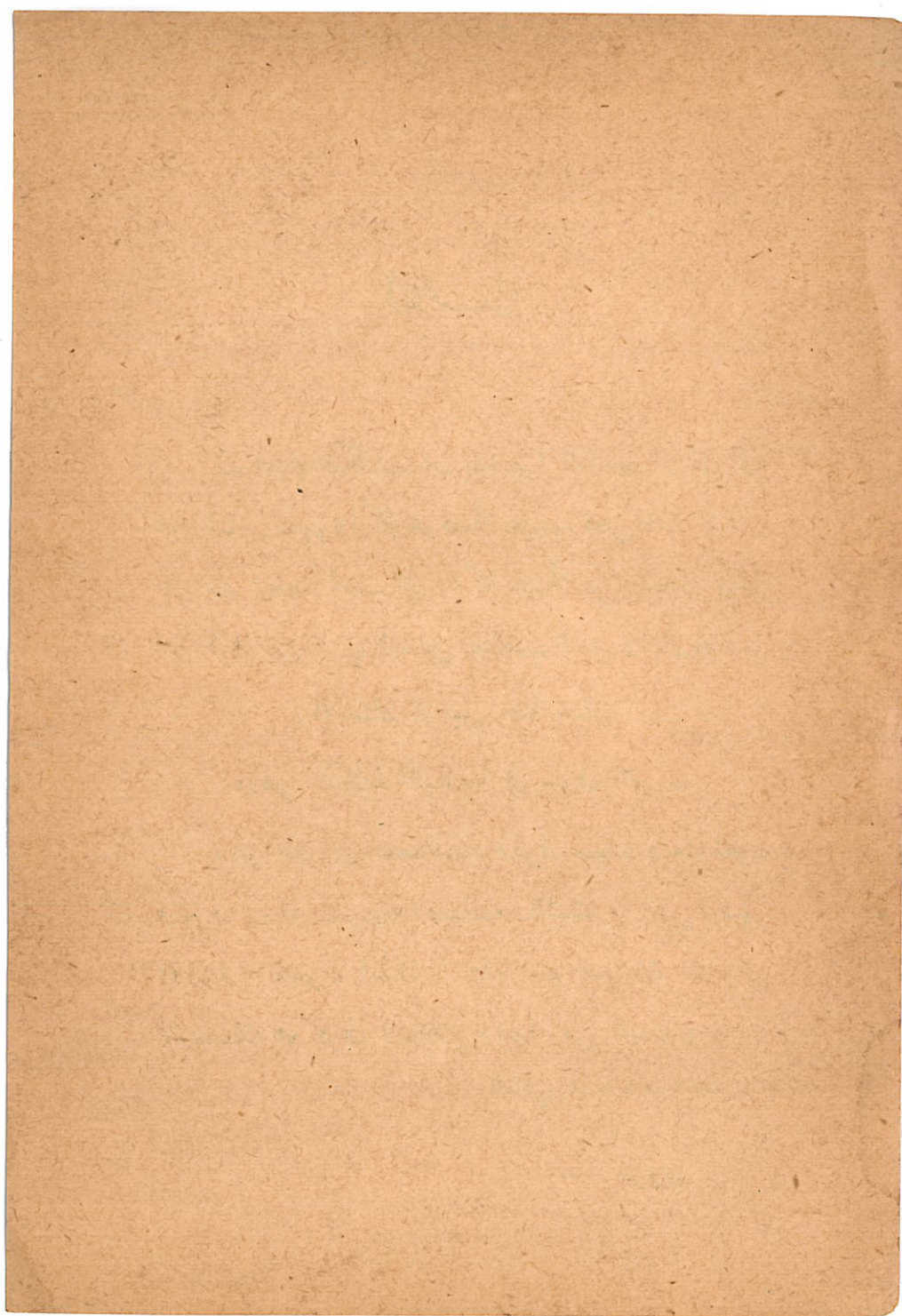
الاستاذ توفيق حنا خباز

رئيس الكلية اللبنانية في سوق الغرب

وهو المعروف بعصاميته وقوة حجته وبعد نظره
وتجرده ورقة شعوره واحساسه . فاليك يا اخي توفيق
اقدم « فصول الحياة » هذه مع العلم ان تقديري
لشخصك هو فوق الكلام وابعد من السطور .
الداعي دوماً « بتوفيقك »

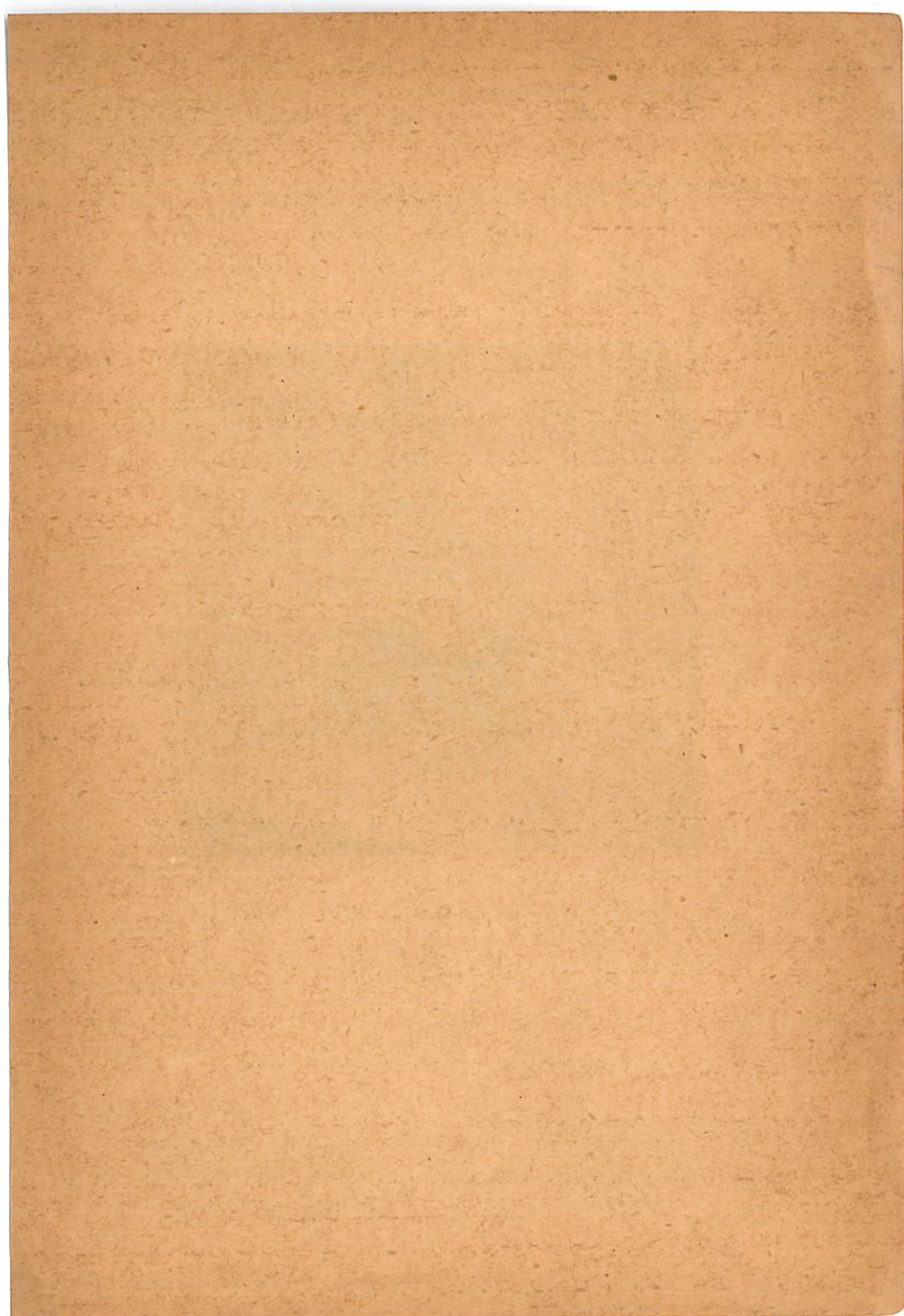
القس

حنا خوري



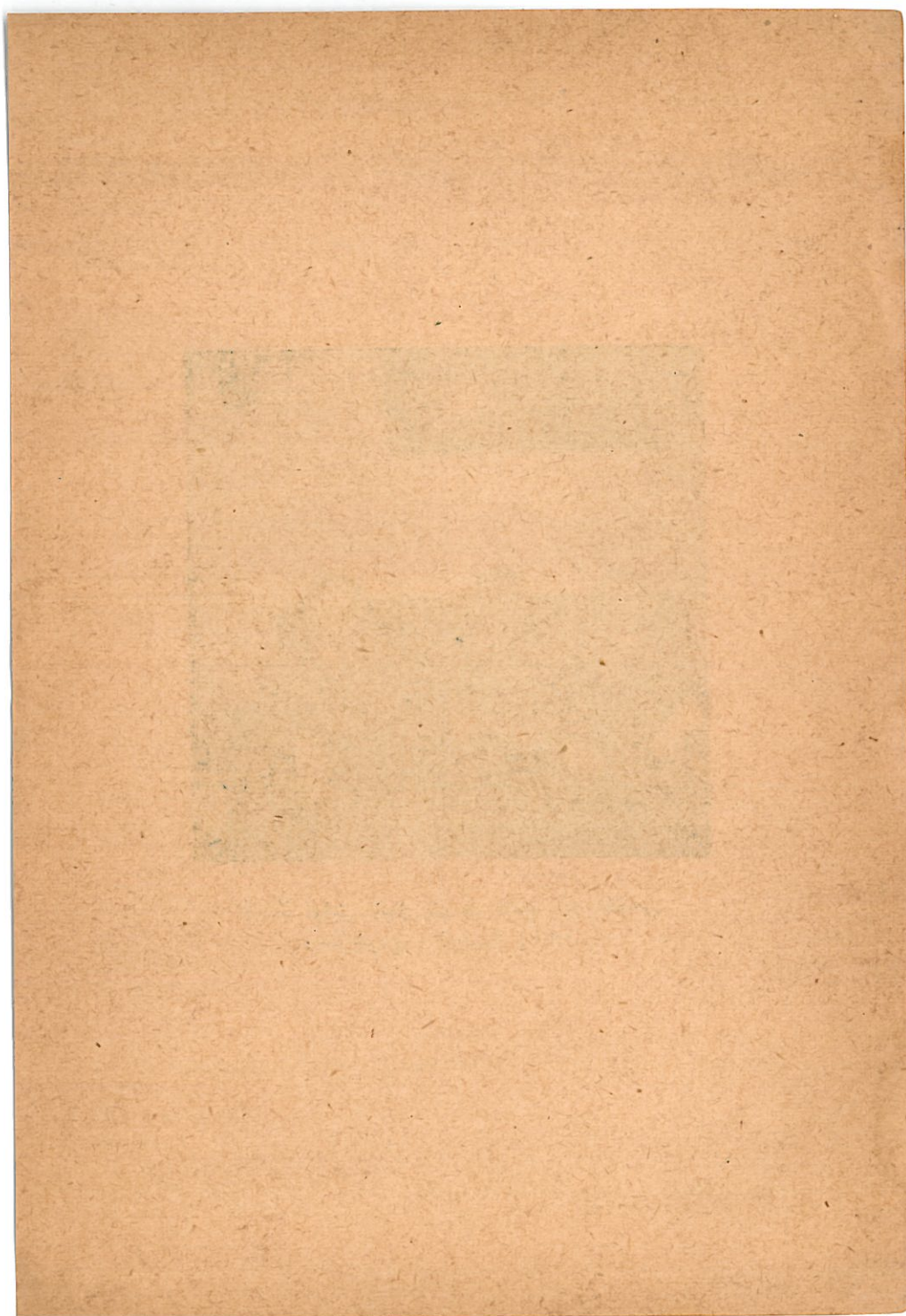


الاستاذ توفيق خباز في نيويورك ١٩٥٤ .





الاستاذ توفيق خباز يتوسط القسين اسير المقدسي
وحنا خوري - نيويورك ١٩٥٤ .



تعريف

- وهل يحتاج الاستاذ توفيق خباز الى تعريف ؟
- اني اربأ بقارئ الكريم عن الاسهاب في هذا الموضوع واستميجه بوضع بعض النقاط على الحروف وهو قليل من كثير بما يقوم به هذا الأخ الكريم في ميادين العمل ومجالات الخدمات الاجتماعية فاقصر على بعض المهام التي يمارسها فهو :
- ١ - رئيس الكلية اللبنانية في سوق الغرب .
 - ٢ - عضو في مجلس امناء الكلية اللبنانية في سوق الغرب .
 - ٣ - شيخ في عمدة الكنيسة الانجيلية الوطنية في سوق الغرب .
 - ٤ - عضو في السينودس الانجيلي الوطني للاقليم السوري ولبنان .
 - ٥ - عضو في المجلس الاداري للسينودس .
 - ٦ - عضو في اللجنة التنفيذية للمجلس الاداري .
 - ٧ - عضو في المجلس الثقافي التابع للسينودس الانجيلي .
 - ٨ - عضو في اللجنة التنفيذية للمجلس الثقافي .

٩ - رئيس لجنة التسمية والتعيين التابعة للسينودس
الانجيلي .

١٠ - عضو في عمدة الكنيسة الانجيلية (المشيخية)
الوطنية في رأس بيروت .

١١ - رئيس لجنة تنقيح قانون السينودس .

١٢ - رئيس لجنة مشروع تقاعد الرعاة .

١٣ - رئيس مجلس ادارة كلية بيروت للبنات .

١٤ - عضو في المجمع الاعلى للطائفة الانجيلية في سوريا
ولبنان .

١٥ - عضو في اللجنة الاستشارية الخاصة « بيت اسعاد
الطفولة » التابع للاتحاد النسائي العربي الفلسطيني في بيروت .

١٦ - عضو ورئيس عدد من اللجان الفرعية التابعة
لبعض الهيئات اعلاه .

فان نعجب من شيء فهو كيف يستطيع هذا المجاهد ان يجد
الوقت للقيام بهذه الخدمات الجليلة مع العلم انه دقيق في المحافظة
على المواعيد وشديد الامانة والغيرة في كل ما يعهد به اليه من
مهمات !

حفظك الله يا اخي وقواك وادامك ركناً لكل مبوءة وعمل
صالح .

باخلاص

القس

حننا خوري

الى الاستاذ يوسف ابي رزق

انني ارفع خالص شكري وامتناني للزميل الكريم الاستاذ
يوسف ابي رزق استاذ اللغة العربية في مدرسة الفنون الانجيلية
في صيداء الذي جاد فراجع مسودة الكتاب واتحفه بمقدمة
من قلمه السيل تعبق طيباً وعرفاً واخلاصاً وولاء .
انني مدين لك يا اخي وسأذكر لك هذا الصنيع ما حييت
كما سينتشر ذكر فضلك حيثما انتشرت هذه « الفصول من
الحياة » .

اخوك الشاكر

القس

حنا خوري

مقدمة

في هذه الزحمة الصاخبة من الطباعة والنشر ، وفي هذه الفورة المحمومة من تجارة الحبر والورق ينزل الى السوق كتاب «فصول من الحياة» لمؤلفه الفاضل رجل الدين والعلم اخي الحبيب الوقور القس حنا خوري الذي عودنا في مؤلفاته السابقة كلها ، ان يعطي بفيض وعمق وغزارة افكاراً بناءة ، نيرة ، يعرضها على الناس بأسلوبه الهادئ المتزن ، وعبارته المشرقة القوية . ويقدمها لهم ، بقلب نظيف ، وقلم عفيف ، وذهن صاف ، وإيمان حي . فما هو استقبالنا لهذه الهدية الغالية التي يتحفنا بها اليوم وما مدى ترحيبنا بها ؟

انني اتخيل هذا الكتاب النفيس القيم ينزوي متواضعاً في اقصى رفوف المكتبات ، كما تفعل بالذات بنفسجة حية تبث العبير ، وهي في الظل ، لتصدر الواجبات كتب ملونة رخيصة ، صارخة بابواق الاعلان ، عابقة بدخان التجارة . فهل يعي ابناؤنا الفكر والطليعة في لبنان والعالم العربي ، اهمية هذا الكتاب النفيس ويقبلون على اقتنائه والاستفادة من كنوزه الخيرة ؟

ام يزورون عنه منشغلين عن اللبّاب بالقشور ، وعن الجوهر
بالعرض ، وعن الروح بالمادة ، وعن الحقائق بالاوهام ؟!

ان الكثير بما تقدّفه المطابع في هذه الايام قد وضع ارتجالاً
واعتباطاً . انه غدران آسنة ضحلة تخدع الناس ببريقها الخارجي .
انه من الصنف الذي لا يرفع قدر الانسان ، ولا يوقظ اسرار
الروح الهاجعة في اعماقه . انه من النوع الذي وضع فقط ليصرف
الشباب عن رسالته الكبرى في الحياة ، ليصدّ من اندفاعه وراء
اقتناص المعرفة وفهم حقيقة الكون . انه ادب الالهة والتميّع ،
ادب السهو والحدّر ، ادب الحمول واللذة العابرة .

اجل يا قارئ العزيز ! ان كثيرين من واضعي الكتب اليوم
يستمترون بمدارك القراء ويستخفون بقدراتهم العقلية على الفهم ؛
فيضعون بين ايديهم الكتب المغرية الخادعة التي تدغدغ غرائز
القارئ السفلي . يقدمون للناس كتب التهويم والتنويم التي توفر
الاغفاء للمصابين بالارق . كتب التسلية وقتل الوقت التي تحدر
اعصاب الشباب فيتهاقون على قراءتها تهافت الفراش على النار .
فهل ننقاد الى هذه المغريات البشعة ، ونسفح كرامة العقل والفكر
فيما على اقدام هذه الدعوة الصنمية الملحدة ، التي تدعي زوراً
وبهتاناً انها تخدم الادب والفضيلة ، وتعمل للدين والاخلاق ،
وتكتب للوطن والمجتمع ، بينما هي في الحقيقة نكبة للادب والفضيلة
وحرب على الدين والاخلاق وطعنة في صميم الوطن والمجتمع .

انني اربأ بشبابنا المفكر الواعي ، ان لا يقدر حقيقة الوعي

والفكر حق قدرها. ولذلك يلذ لي ان اتمثل هذا الشباب المثقف،
المتحرر من ربة الجهل والحمول ، يقبل بلهفة وشوق على قراءة
هذا الكتاب الثر الذي يفتح امام العقل المتعطش الى الفهم آفاقاً
بعيدة الاجواء ، ويغذي النفس المشتاقة الى المعرفة بغذاء دونه
كل غذاء .

ان كتاب « فصول من الحياة » الذي يطالعك من خلال
مواضيعه ، امثال هذه العناوين القوية :
« كيف بدأت الحياة » ، « نشأة الانسان » ، « معرفة
الزمن » ، « العلم وكلام الوحي » ، « الحياة بعد الموت » الخ ...
هو كتاب لا يصلح لمن يعيشون على هامش الحياة مكتفين
بالزبد المتكسر على رمال الشاطئ لاهين بالصدف اللامع بين
اكوام الحصى والتراب .

هذا الكتاب هو دعوة للفكر والنور والمعرفة ، هو صرخة
للانطلاق من قيود الناسوت الى فضاء الملكوت ، هو خطبة
وموعظة في الحق والخير والفضيلة ، هو تفسير واضح جميل لما
اشكل من احاجي الحياة واسرارها ، هو توفيق بين الدين
الصحيح والنظرات العلمية الحديثة ، هو انطلاقة جريئة واعية
لتطور الانسان في فهمه الديني ، وجعله الحقائق العلمية الكبرى
مرآة مادية هائلة تنعكس عليها حقيقة الروح اوضح وأجلى ، هو
إقناع منطقي فلسفي ، بان لا قيمة للرمز في ميزان الحياة الا
بقدر ما يفسر ويوضح مبهمات ما يرمز اليه ، هو رسالة للعلم والفهم

والضياء ، هو نداء للطامحين العاملين بسلطان العقل لكي يغوصوا
الى الاعماق حيث الدر والجوهر والحقيقة ، حقيقة الحياة ، كما
يجلوها ويفسرها كتاب « فصول من الحياة » .

يوسف ابي رزق

قوطة

ما هي حياتنا؟ أهى مجرد صدفة وضعتها يد خفية فى حفنة هذا
الفضاء المجهول ام هى فكرة دقيقة وضعا عقل اله حكيم ؟
أهى خشبة مطروحة على اوقيانوس هذا العالم لتتقاذفها الرياح
والامواج ام هى سفينة لها هدف معين واتجاه خاص يدير دفتها
ربان حكيم ؟ هل حياتنا مجموعة من حوادث مفككة العرى لا
ارتباط بينها ولا اتصال ام هى سلسلة منسجمة لحوادث منظمة ؟
هل وجدنا لتصاريف الزمان وتحكم الصدفة والقدر ام خلقنا
لاعمال صالحة سبق الله فاعدها لنسلك فيها ؟

منذ بزغت عيناى للنور وشرعت ادرك بعض وجوه الحياة
واقف على خفايا اسرارها أخذت مثل هذه الاسئلة تتردد فى
خاطري فحاولت عبثاً ان اجد الجواب المقنع لها فكنت اشعر
اننى كلما اكتشفت سرا من اسرارها كلما ازدادت امامى غموضاً
وتعقداً ... ولكن على توالى الايام وبواسطة الدرس والمطالعة
والاختبار تجمعت لى افكار وآراء وعقائد ومذاهب ونظريات
بصددها الحياة كانت عاملاً قوياً فى اقتناعى اخيراً بان للحياة

هدفاً خاصاً وان لله قصداً ممتازاً في حياة كل شخص لا يمكن لأي شخص آخر ان يتمه . فاذا ترك احد مكانه في خدمة المجموع سيبقى فارغاً ولا يمكن ان يملأه احد سواه .

ولما اخذ الكثيرون يبحثون متخبطين في امر الحياة واسرارها محاولين تقصي غوامضها المبهمة واظهار خفاياها المعقدة رأيت انا بدوري ان ارمي بدلوي بين الدلاء لعلني استطيع تقديم الخدمة لامثال هؤلاء فاقدم لقراء اللغة العربية قسطاً مما حوته خزانة معلوماتي ان بطريق المطالعة او الترجمة او الاقتباس او تجميع الحقائق او المذكرات المدونة فعمدت الى اوراق المبعثرة اجمعها معاً وانظمها « فصولاً من الحياة » راجياً ان تكون اداة صالحة لخدمة اولئك الراغبين في الوقوف على اسرار الحياة وسبر اغوارها . ولست ادعي ادراك جميع الحقائق ولكنني أميل الى الاعتقاد بان ما ورد في هذا المؤلف من براهين كاف لان يعطي الانسان فكرة صائبة عن الحياة ونشأتها وتطورها واهدافها ومراميها فيستطيع ان يحدد موقفه منها ويعرف ان لكل دقيقة من حياته عظمة ممتازة لعلاقتها بمقاصد الحكمة الازلية وان كل عمل مهما كان صغيراً انما هو جزء من تدبير الهي وما حياتنا سوى خيوط معنوية دقيقة تتداخل في نسيج الرداء العظيم المشترك الذي يشتغل في نسجه جميع الناس على السواء .

فما اصغر حياتنا وما اكبرها واعظمها ! فهي وان قلت في ذاتها جزء متمم لارادة الله . فنحن لم نوجد في الحياة للسعادة او

للشقاء إنما وجدنا فيها لنتمم ارادة الله فينا - تلك الارادة التي بها
ولاجلها وعليها ومنها ولها وفيها نحيا ونتحرك ونوجد .
هذا وارجو ان اكون قد اصبحت المهدف فهيأت للقراء
الكرام مجموعة من « فصول الحياة » تساعدكم على معرفة معنى
الحياة وتكون حافزاً لهم لزيادة الدرس والبحث والتنقيب حتى
تتجلى امامهم الحياة الفضلى : اتيت لتكون لهم حياة وليكون
لهم افضل .

القس
حنا خوري

مأهمل الحاة

الحاة الالهة !

لقد رافقت الاءوار الالولة ، وعلالت الاءهار ،
وشاهدت ارءقاع القارات وانهار بعضها ءء المأاطاء ، كما
قاسء الاءماق ، واءصء رمال الشواطء ، وزءفء مع العصور
الالاءاءة ، وساهمء فاء نشر الالاء على الالاء المءءعءء
ووءهها المءشق بفضل الزلازل والبرالكاء ، وسجلء عهر ملااء
السنااء عملاءءءءاء والاءجراف - عءءما كانت الالاء الشاهقة
ءءساوى مع الاءضء ءم ءعوء فءرءفع الى ما فوق السءب ءاركة
لنا ذلك السءل مر قوماء فاء طبقات الارض الواءءة فوق
الاءرى . فلقد انءرفء قارات باءمها الى البءار وغطء رواسب
الاءبسة قهر المأاطاء فاء كل مكان . وفاء كل ءلك الءقة ظللء
الحاة مأفظءة على البقاء وقوء الاستمرار ...

ءم اءءء الحاة ءعمل بمءب النواماء الطباءاءة فءءلق من
ذراء الماءة مر كباء عءباءة من ءلازنا ومءارات وعشرات

الالوف من الحشرات والمخلوقات التي عاشت في الادهار الحالية
تاركة اثرها في الاحراج والغابات والفحم الحجري والزيوت
والغازات - وهذه جميعها شواهد على حيوية العالم القديم عندما
اخذت الحياة تستمد القوة من الشمس وتخترنها ليعود انسان اليوم
فيستخدمها ناراً للوقود ووسيلة لتقدم العمران . ان هذا الارث
العظيم يفوق كل ثروة في قيمته لانه رفع الانسان الى مرتبة
اعلى من مرتبة الحيوان . وبعد اكتشاف النار لجأ الانسان الى
المغاوير يتخذ منها منازل يأوي اليها مع افراد عيلته فكان البيت
وكانت وسائل الراحة وجميع مقومات التمدن . كان ذلك ممكناً
لان الحياة قبضت على القوة من الشمس واختزنتها وحافظت عليها
الى وقت الحاجة .

وتغلبت الحياة على الاحوال المحيطة بها وفازت على جميع
الصعاب الموجهة اليها من البيئة بقصد القضاء عليها . فاستطاعت ان
تذيب المركبات من الأميبا والاسماك والحشرات وذوات الثدي
وطيور الهواء صعوداً الى الجراثيم والمكروبات والبكتيريا
وجميع انواع الطحالب نزولاً لكي تعود فتجمعها مركبات
جديدة محدثة مخلوقات باشكل متباينة ومجهزة اياها بالقدرة على
التوالد والحفاظ على الجنس الى اجيال لا تحصى .

والحياة منجبة في طبيعتها . فهي تعد غذاءها وتقاتل على
فضلاتها الخاصة الا انها متسلطة على كل ذي نسمة حية لكي لا
تمكن اي نوع من تلك المخلوقات على اجتياح العالم . فاذا لم

يكافح الجراد مثلاً ويردع يقضي في بضعة اعوام على كل غصن
اخضر وبذلك يقضي على الحياة الحيوانية قضاءً مبرماً ...

والحياة فحات ماهر يعطي شكلاً خاصاً لكل نفس حية .
وهي فنان يضع هندسة لكل ورقة على كل شجرة ويلون
الازهار والاثمار والاطيار بالألوان الساحرة .

والحياة موسيقي يعلم العصافير تغريد المحبة ويلقن الحيوانات
دروساً في الالحن فتتنادى بانغام عذبة من نقيق الضفادع ، الى
صياح الديكة ، الى زئير الاسود ، الى صهي الفيلة ، وخوار
البقر ، وثغاء الحملان - كلها تملأ كأس العاطفة بسحرها وروعها
ولا تعلو عليها وتفوقها سوى الليوننة العجيبة التي يتحلى بها
الصوت البشري .

والحياة هي التي منحت الانسان المقدرة للتسلط على تموجات
الصوت فاخترع الآلات لاذاعتها والتقاطها . فالشبابة والمزمار
والقرن والناي والعود والكمان وجميع آلات الطرب من ابداع
الحياة ولاجلها نحن مدينون للحياة ...

والحياة مهندس نسقت ارجل الجندب ومنحت الاعصاب
الحساسة مع الدورة الدموية لكل ذي نفس حية . كما انها هي التي
تخطط الشجر وتلون الازهار وتغلف البذور بالقرون وترسل
الاريج الفواح مع كل ريج كما تسخر الحشرات لحمل غبار اللقاح
من مذكر الزهر الى مؤنثه .

والحياة كيمائي يمنح الطعم للفواكه التي نأكلها، والعبير الذكي

للورود التي تتمتع باريحها . ان كيمياء الحياة سامية جداً . فهي لا ترسل اشعة الشمس لتغير الماء وغاز الكربون الى خشب ومادة نشوية فحسب ولكنها بعملها هذا تبعث بعنصر الاكسوجين ليتسنى للحيوان الحصول على اكسير الحياة .

والحياة مؤرخ - فلقد دونت تاريخها عبر الاجيال صفحة بعد الاخرى تاركة سجلها في الصخور ومدونة افضل سيرة مخطوطة تحتاج الى فهم وتفسير .

والحياة مبهجة - فهي التي تمنح المرح للمخلوقات الحية فيطفر الحمل الصغير ويركض ويلعب دون ان يعرف سبباً لطربه وانشراحه . كما تخص عيني الطفل بالحدة والفراسة وتلون خديه بالاحمرار وتمنحه الابتسامة المشرقة على شفثيه . اما المادة فلا تبتسم ابداً !

والحياة توفر الطعام المغذي لمخلوقاتنا حتى عندما تكون في الجنين وتعد بعض انواعها للحياة النشيطة فور ولادتها . كما تسد احتياجات البعض الآخر مدة الحضانة وترى تلك الحاجات مسبقاً وتستعد لها .

والحياة اوجدت الامومة في العالم وقدستها ومنحتها القوة على التضحية الكاملة والمحبة الشاملة ، كما منحت الرجل فكرة اللجوء الى بيت ياوي اليه وعيلة ينعم بظلمها وتحتمي بكنفه وعلمته عقيدة محبة الوطن التي من اجلها يحارب ويموت ...

والحياة تحمي نفسها فتمنح الارجل للركض والقرون للدفاع

والجناحين للطيران كما اوجدت المحالب والاظافر وقوى السمع
والشم وحدة البصر كلها اما للهجوم او للصمود والوقاية والمحافظة
على البقاء .

والحياة مبتكرة تولد امورا غريبة ومخملوقات عجيبة .
فالمادة تبقى خاضعة للنواميس الطبيعية ولمؤثرات الحرارة
والتيارات الكهربائية . فبدون الحرارة تصير المادة غير قابلة
للتفاعل ولما تنفصل عنها الحياة تبقى مادة ميتة لكنها تملك القوة
لمنح الحياة للحيوان . وهكذا تولد الحياة وتضمن استمرارها في
الكائنات الحية .

لم يتمكن الانسان من سبر غور الحياة اذ لم يجد لها ثقلاً ولا
حدوداً . فالحياة هي التي تعطي قوة للجذور النامية فتشقق الصخور
وهي التي تنمي الشجرة العتية وتحفظها من السقوط لمدة الف سنة
او يزيد . وهي التي ترفع كل يوم آلاف الاطنان من مياه
المحيطات بشكل بخار لتغذي بها الاوراق والاشجار .

الحياة الفردية سريعة الزوال ولكنها مظهر كل حركة في
كل ذي نسمة حياة، وكل قوة في الحياة انما مصدرها الشمس تحملها
اليها اشعتها المباركة ...

والحياة لا تستطيع المحافظة على بقاءها في وسط شديد الحرارة
او كثير البرودة لان كلتا الحالتين تعيقان نموها واستمرارها .
ولم تظهر الحياة على الارض الا عندما توفرت لها البيئة الصالحة
والشروط التي تساعد على ظهورها وبقائها . وستفقد نشاطها

عندما يحصل تغيير جوهري في شروط بقائها .

اما البيئة الصالحة فوجدت منذ ثلثمائة مليون سنة تقريباً ولم تتغير . فالطبيعة لم تكن سبباً لوجود الحياة لان البراكين النارية المتأججة التي كست وجه الارض وتيارات المياه الجارفة التي سبقت ظهور الحياة لم تقدم الشروط الضرورية لوجودها ودوام بقائها . فمن اين جاءت الحياة والى اين مصيرها؟ وهل كانت منحجبة في مكان خفي على سطح الارض او كانت على ارض ثانية في سيارة اخرى دائرة في فلك الشمس تنتظر فرصة لتمجيد الكون بالحكمة ؟ هذا ما لا يستطيع العلم ان يجيب عنه او يقرره او يحزم فيه .

من ميزات المادة الجاذبية وكذلك الكهرباء التي يظن بانها مادة . وهذا يصدق على اشعة الشمس التي تنحني امام قوة الجاذبية فتصير كهرباء او ما يشبهها . وقد اكتشف الانسان قوى الكهرباء وكيفية قياس حدود الذرة واستخراج القوة الكامنة فيها ولكنه عجز عن معرفة سر الحياة لانها خداعة كالفضاء الذي لا يعرف له حد ... فلماذا ؟

والحياة دائبة في تحويل المادة الى حياة دون ان تكون قادرة على التمييز بينها . ومع ذلك فالحياة جوهريّة في عملية التحول هذه وهي الطريقة الوحيدة التي بواسطتها تتغير المادة فتحصل على الشعور والحس والمعرفة .

والحياة وحدها قادرة على فهم وتقدير اعمال الله والتي هي

كيف بدأت الحياة

لا يبحث العالم طويلاً في تاريخ نشأة الحياة حتى يقف متحيراً
لعدم وجود الأدلة الكافية للوصول الى كامل الحقيقة . الا ان
هنالك وفرة من البراهين السطحية التي نعتمد عليها ونستشهد بها
علمياً وبالرغم من ذلك تبقى الحياة سرّاً غامضاً بعيداً عن الادراك .

فالعالم ، بنتيجة فطنته ودراسته واختباره ، يرى بان الحياة
تحدت من عالم المكروبات الى عتبة الحياة الذرية ، وان مرجع
جميع ذوات النفس الحية التي تعيش على الارض انما هي خلية
الذرة الصغيرة ، تلك الخلية المزودة بقوة خارقة على التكاثر وعلى
تكييف نفسها مع البيئة التي تعيش فيها وعلى التحول الى ربوات
الاجناس الحيوانية المعدة لتعيش في كل زاوية على وجه هذه
البسيطة .

يعزو بعضهم علة وجود الحياة الى مجرد الصدفة . ويرى غيرهم
ان كل مجموعة من خلايا مركبة تجدد في تحقيق نفسها وتقرير
مصيرها فتتحول الى شكل من الحيوانية ابتداءً بالحلزون حتى

الوصول الى الانسان . على انه يتعذر علينا الوصول الى معرفة الحلقة المفقودة بين مختلف انواع الحياة .

على ان امرأ خطيراً حصل منذ فجر الوجود الحيوي كان اسمى من الارض واكثر اهمية من الكون بالذات . وهو اهم حدث في الوجود باستثناء وجود خالق عاقل وراء هذه الاكوان . وما هذا الامر العظيم سوى وجود نقطة صغيرة من البروتوبلازما تكاد تكون غير منظورة ولكنها مائعة وشفافة وقادرة على الحركة وعلى اكتساب قوتها من الشمس بفصلها ثاني أكسيد الكربون وتفريق اجزاء الذرات عن بعضها واخذها عنصر الهيدروجين من المياه لتكون مادة نشوية . وبعبارة اخرى انها تعد طعامها وتتناوله من اصعب واعند المركبات الكيميائية في العالم .

ولقد كانت تلك الحلية الواحدة ، على ما يظهر ، تحفظ في نفسها جراثيمة الحياة لكل مخلوق حي والمقدرة على التوافق بين ذلك المخلوق وبين البيئة التي تحيط به في الحيز القائم بين قعر المحيطات واعالي الجلد . وقد ساعد كل من البيئة والزمن تلك الحياة على التطور واتخاذ مختلف الحالات بحسب مطالبها . فاخذت تلك الانواع الحية تنمو وتستقل بذاتها دائبة على الثبات وعلى التخصص كما اخذت تخسر قوة الرجوع الى الاصل شيئاً فشيئاً معتاضة عن ذلك بموافقات جديدة للحالات الجديدة والوسط الجديد في كل دورة من ادوار تطورها .

ان تلك النطفة من بروتوبلازما الحياة كانت اعظم من النبات الذي غطى وجه الارض بالحضرة واعظم من جميع الحيوانات التي تنسبت عبير الحياة لانها كانت علة الحياة ومصدرها ولولاها لما وجدت الحياة على الاطلاق .

والى هذا يشير القرآن الكريم بالآية القائلة : قم وحدث باسم ربك الذي خلق الانسان من «علق» .

وهو ما يؤيده العلم خطوة فخطوة انما يتردد عند هذا الحد ليقرر بان الانسان في تطوره بالطريقة المتقدم ذكرها كان مقدراً له بان يكون سيداً بين المخلوقات . وهو لاجل ذلك مركب تركيباً مادياً دقيق الصنعة كما انه مجهز بدماغ قدّر له ان يتسلم شعله من الذكاء الاسمى الذي ندعوه روحاً ...

ولنبداً حكاية تلك الحياة منذ ذلك العهد السحيق عندما كانت الارض خربة وخالية وروح الله يرف على وجه المياه . ولما استقرت المياه في المحيطات وارتفعت اليابسة نحو الاعالي لم توجد سوى المواد الجامدة كمركبات البزاليات والصخور النارية والمتحولة والاردوازية والرملية والرسوبية . اما رواسب الطباشير والكلس والصوان والمرجان التي هي من بقايا الحيوان فلم تكن بعد موجودة . واما من جهة سر وجود الحياة على الارض فيمكن بان يقال انها وجدت في احدى السيارات كخلية حية وبعد ان مكثت في الاجواء دهرأ طويلاً وقعت على سطح الارض واستقرت عليها . ولكن كيف وجدت تلك الجرثومة

الحيوانية ومن اوجدها وكيف نجت وهي في الفضاء من الحرارة المطلقة تحت الصفر ومن التموجات القصيرة التي تسبب هلاكها حتماً ؟ ذلك لا يمكننا تفسيره ... وعلى افتراض قلنا بانها وصلت الى سطح الارض حية فينبغي ان توجد في بيئة ملائمة صالحة لبقائها ونموها وتوالدها . وربما كان مكان وجودها المحيط المائي حيث وجدت عدداً من الموافقات التي ساعدتها على البقاء .

وهذا يحملنا خطوة اخرى الى الوراء ويدفعنا على التساؤل : وكيف يمكن ان توجد الحياة على اية سيارة من السيارات الدائرة في فلك الشمس مع العلم انه لا البيئة فقط ولا المادة وحدها ولا اي مركب آخر من عناصر طبيعية و كيمائية يمكن ان يبرز الحياة الى الوجود صدفة ... وبصرف النظر الآن عن ذلك المصدر يظن بان نقطة صغيرة يسمونها ذرة تكاد لا ترى تحت عدسة المجهر أضافت الى نفسها من إلكترون وبروتون ففقدت توازنها وانقسمت الى قسمين انتقلت اليهما ميزات الحياة مع القسمة . وهكذا تكررت عملية التقسيم وتكرر تضخم الحياة ونمت وكبرت وتشعبت فروعا .

ولنتخذ مثلاً لنا الأميبا . وهي ما زالت خلية واحدة وربما لم يزد قطرها عن جزء من مئة من القيراط وتوجد في جميع مياه العالم . فهي مخلوقات صغيرة مركبة من ملايين الذرات منتظمة معاً . وهي تحس بالجوع وتتبع طعامها بكل تصميم . وهنا يعترضنا السؤال التالي : كم ينبغي ان يكون حجم الحيوان الحي

لتكون له رغبات وتصاميم؟ والجواب ان لا عبء للوزن ولا للحجم اذا ما قيسا بالغير المحدود لان الذرة نفسها نظام كامل مثل النظام الشمسي . فاذا اتخذنا الأميبا شاهداً للتوصل الى معرفة مصدر الحياة رأينا ان بعض المخلوقات البروتو بلازمية والتي هي اصغر جداً من الأميبا كانت مصدر الحياة الصحيح لكونها ضاعفت تركيب جسمها فانقسمت الى جزئين يحتوي كل منهما على جميع خصائص الحياة ذاتها . ثم انقسم الجزءان فاصبحا اربعة وهكذا استمر في الانقسام والزيادة الى المنتهى . وهذا ما تفعله كل خلية حية في كل ذي نسمة حية . وعندما تنقسم الخلية يحوي كل جزء منها في كيانه الجديد على قوة التوالد وابتعاد وحدات كاملة بالتجزؤ . زد على ذلك ان تلك الخلايا خالدة لا تموت طالما كانت في احوال موافقة وما لم يطرأ عليها حادث مفاجيء او تغيير في احوال بيئتها لا تقوى على تحمله . وهي التي تكون الخلايا البسيطة لكل مخلوق حيواناً كان ذلك المخلوق ام نباتاً . وتأني بالشبه الكامل لحياة النوع وخصائصه الرئيسية . ونحن البشر نؤلف جمهوريات منظمة تنظيماً رائعاً مؤلفة من بلايين الخلايا المتشابهة وكل خلية اشبه بمواطن يقوم بكامل عمله بكل دقة وحكمة . وهذا يختلف تمام الاختلاف عن الذرة المادية التي لا حياة فيها ...

بإمكاننا ان نشير هنا الى حدث عظيم الاهمية جرى عندما وجدت الحياة على الارض لأول وهلة . ذلك ان خلية استعانت

بالقوة العجيبة المستمدة من نور الشمس على تفتيت مركب
كيمياوي واستخراج الغذاء الكافي لها ولرفيقتها الخلية الاخرى .
وتبعتها مواليد خلوية اخرى اقتاتت على الطعام فصارت حيواناً
بينما تحولت الخلية الاولى الى نبات صار طعاماً لجميع الحيوانات
المتوالدة . فهل يعقل بان خلية صارت حيواناً والاخرى نباتاً
بطريق الصدفة المجردة ؟

عند تلك القسمة بدأ التوازن العجيب بين الحيوان والنبات .
وكانت تلك الخطوة ضرورية كالحياة نفسها . اذ لو كانت جميع
الحياة حيوانية لاستنفدت جميع الاكسوجين الموجود في الهواء
ولو كانت كلها نباتية لاستهلكت ثاني اكسيد الكربون وفي
كلتا الحالتين فناء للنوعين .

وبما يؤكده علمياً انه في فجر تكوين الكرة الارضية لم يكن
عنصر الاكسوجين في حالة طليقة ولكنه كان ممتزجاً بقشرة وجه
الارض وبالماء وبثاني اكسيد الكربون . فاذا صح ذلك يكون
مصدر ما عندنا من اكسوجين النبات بالذات . وهذه حقيقة
ثابتة لان جميع النباتات تستنشق ثاني اكسيد الكربون وتنثف
الاكسوجين . وعلى هذا ينبغي ان توجد الحيوانات التي تعتمد
على الاكسوجين بعد وجود النباتات . فهل وجدت الحياة على
دفعتين يا ترى ؟

ثم اننا نجد تلك الخلايا الاولى تحافظ على كيانها وهي
متجمعة اكثر منها متفرقة . لذلك اخذت تتجمع في وحدات

مركبة ومؤلفة من عشرات ومئات والوف وملايين الخلايا وفي الوقت نفسه تقوم الخلية الواحدة بعملها المعين لها . ولم تلبث تدريجياً ان اخذت تلك الخلايا تتميز ببعض الاختصاص دون سواها وفي الوقت نفسه تنجز الاعمال بواسطة العمل الجماعي المشترك . فاخذت اهداب السيليا - وهي مركبات صغيرة كخصل الشعر - وذوات الارجل المتعددة تساعد على تجميع الطعام بينا انصرفت الخلايا الاخرى لتنهمك في عملية الهضم . وهكذا قسمت الاعمال بينها فاخذ قسم على نفسه امر الحماية والوقاية فصار غطاءً وقائياً او لحاءاً خارجياً بينا القسم الآخر جد في نقل الطعام الى جميع اطراف الجسم الحيواني . فتحولت بعض مركبات الخلايا الى حطب في لحاء الاشجار او الى عظام في جسم الحيوان او الى صدف لتحمل اجسامها المتزايدة حجماً ونمواً . واخذت تلك الخلايا تدفع ذراتها للقيام بالمأموريات الخاصة وتتبع بعضها دون خروج عن القاعدة العامة او عن تصميم الخلية الاولى وامكانية تطورها الى المخلوق النوعي اكان ذلك سلحفاة ام ارنباً .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن بهذا الصدد هو هذا : - وهل كانت تلك الخلايا عاقلة يا ترى ؟ فاذا نحن سلمنا بان الطبيعة حبت الخلايا بالفرائز المختلفة او ميزتها بقوة التفكير كان علينا ان نعترف بان تلك الخلايا كانت مضطرة لتغيير شكلها وحياناً لتغيير طبيعتها الكاملة اجابة لمطالب المخلوق الذي تؤلف بعض

اجزائه . وكل خلية في اي مخلوق حي عليها ان تكيف نفسها
فتكون جزءاً من اعضاء الجسم وان تضحي بنفسها وتبلى بعد
مدة من الزمن فتخلع مع ميناء الاسنان او تنحدر مادة شفافة
مع دموع العين او تقلم كجزء من الاظافر او تجز مع الشعر
عند المزين .

وهكذا نرى الحياة مندفعة الى الامام منشئة ومرممة وبمتدة
وخالقة الجديد والافضل بقوة لا تقهر وهي غير موجودة في
الجماد . فهل هذا هو الذكاء يا ترى ؟ ام ندعو ذلك غريزة ؟ او
انها حدث مرتجل ؟ او هي صدفة مجردة ؟ انك تستطيع ان
تجيب على هذا بنفسك ولكنك قد تعترض قائلاً بان لا شيء في
هذا المقال يوضح كيفية ابتداء الحياة - كيف ومتى جاءت الى
هذه الارض ؟ لا احد يعلم ذلك ولكننا نعتقد جازمين بانها
جاءت مظهرأ لقوة الهية وانها ليست مجرد مادة لا غير !!

نشأة الإنسان

هنالك طرق متعددة للنظر في نشأة الإنسان . وربما كان مجرد البحث في هذه الطرق مدعاة لازعاج أولئك المعتادين على العقيدة الراسخة لا يرضون عنها بدلاً . فتقول إحدى النظريات بان الإنسان تدرج بطريقة التطور من نقطة الحياة الأولى حتى وصل الى ما هو عليه الآن . وهذا هو الأساس الذي تبنى عليه نظرية النشوء والارتقاء .

والنظرية الثانية تقول ان الله بحكمته اوجد الحياة على الارض وصنع الإنسان كاملاً كما هو في حالته الآن . وثمة نظرية ثالثة تقول بان العناية الالهية ليست جامدة وانها اوجدت الحياة بكل وجوها على مراحل وبسلسلة من الابداع . وهنالك نظرية اخرى تقول بان الحياة التي تطورت حتى صارت انساناً جاءت وليدة الصدفة وهي عبارة عن مزيج مركب من مواد كيمياوية وماء . وفي كل الاحوال ، وعلى افتراض وجود خالق ، لقد قصد ذلك الخالق ان يوجد من عناصر

الارض الرئيسية كأننا حيّاً ذا دماغ يمكن ان يكون مركزاً
لذكاء ، وان يمنح لذلك الذكاء السلطة على جميع المخلوقات وعلى
الكثير من انواع الجماد ...

يتضح لنا من اية نظرية أخذنا بها انه لم يكن بمقدور
الانسان ان يوجد كما هو الآن منذ بدء الحياة ولكنه وصل
الى ما هو عليه الآن بطريق التطور . ولم يتم ذلك التطور الا
بتدليل جميع العقبات والتأكد من عدم كفاءة اية حياة اخرى
من ان تكون مقرأ للعقل البشري . ولو فرضنا ان وجود الانسان
رافق وجود الحياة الاساسية يكون وجوده منذ اربعمائة مليون
سنة او يزيد .

اما النظرية الثانية فتقول بإمكانية وجود الانسان منذ
عهد طويل ولكنه جاء نتيجة لمقاصد الهية . وبحسب النظرية
الثالثة لا نستطيع ان نحدد تاريخ وجود الانسان الاول قبل
مرور ملايين السنين ليلغى كامل انسانيته . وعليه قضى العلماء
زمناً طويلاً يدرسون نشأة الانسان ويجمعون الحقائق عنه
فوجدوا انه قد مضى على وجوده كإنسان نحو مليون سنة . اما
قبل ذلك التاريخ ومن اي حيوان كان قد تحدر فعائد الى عصور
لا يستطيع العقل البشري ان يحدها .

في المتحف الاميركي للتاريخ الطبيعي في مدينة نيويورك
بقايا حصان ذي ثلاثة حوافر وهو حيوان صغير منقرض تميز
بشدة العدو . ولا شك ان تطوره حتى صار بجافر واحد

كالخصان الجميل المعروف عندنا اليوم استغرق مدة طويلة تقاس
بملايين السنين . وعلى هذا القياس نستطيع ان نتصور المدة
التي استغرقت الانسان ليتطور بيديه وعينه ودماغه حتى يصل
الى حالته الحاضرة . هذا ناهيك عن العقبات والتقلبات التي كان
على ذلك المخلوق الضعيف ان يجتازها . نعم انه كان نشيطاً
وسريع الحركة غير انه كان عرضة لكل حيوان ضار ولكل
زحافة سامة وكل مرض فتاك . كما كان عليه ان يحافظ على
صغاره مدة الحضانة الطويلة . والمعروف ان دور الحضانة لدى
الانسان اطول من اي مخلوق آخر وان الاولاد يولدون
ضعفاء لا يقوون على شيء ويأتون بالتتابع لذلك قد يكون
عدد من القاصرين في العيلة الواحدة معتمدين على غيرهم من جهة
التغذية والحماية وهذا ما يزيد بغرابة بقاء الانسان وتغلبه على
المصاعب طيلة الاجيال .

لقد مرّ الانسان في تقلبات عظيمة وقاسى ظروفًا صعبة
وجاز اخطاراً شديدة وكذلك باقي الحيوانات الاخرى . ولا
شك ان تغلبه على تلك الاحوال القاسية يعود الى عناية الله الغريزية
وحمايته وحكمته . ومن جهة ثانية نرى الكثير من اجناس
الحيوانات قد انقرضت وزالت من الوجود . واكبر دليل على
ذلك عظام الفيل المنقرض وغيره من الحيوانات البائدة التي لم
تكن موافقة للبقاء ولذلك انقرض وطمسها النسيان . وهذا
يصدق على ملايين الانواع من الحشرات والزحافات والطيور

والاسماك وغيرها من المخلوقات المتناهية في الصغر . فيقال بان
الحمام الزاجل فاق في مدة من الزمن الانسان عدداً ولكن آخر
طائر منه قضى من مدة قصيرة وانقرض نوعه البديع كانقرض
طائر البطريق وطائر الدودو ايضاً . وهذا الأخير طائر منقرض
من فصيلة الحمام .

ان علماء الآثار القديمة يتخذون سعة دماغ الانسان دليلاً
على امكانية تقدمه . فلقد عاشت سلالات من الناس وتبعتها
سلالات لا حصر لها . والظاهر ان سلالة الجنس الابيض كانت
اكثر تفوقاً من السلالات الأخرى وما زالت الى وقتنا
الحاضر . فهل يجود الزمن بالانسان الاسمي الذي سينجب نسلأ
أحياناً فيزحم الانواع البشرية الأخرى على وجه الارض ؟
يقولون ان في جمجمة الطفل عظاماً منفصلة عن بعضها بغضاريف
تسمح للدماغ بازدياد نموه . وهذا النمو يستمر حتى الشباب اذا
كان ثمة حاجة الى مثل هذه الطاقة من النمو . واما في الواقع فاننا
نصبح قساة الجمجمة قبل الاوان . والاجدر بنا ألا نغلق عقولنا
عن الحقائق في وقت مبكر .

ميزان النفس العقلية

من اغرب الامور وادهشها اننا عندما نتحرى مختلف انواع الحيوانات لا نجد عندها الا القليل من دلائل العقل باستثناء الغرائز المعروفة حتى نصل الى الانسان . فليس ثمة من حيوان آخر غير الانسان تمكن من ترك أثر لمقدرته على تربيع حجر او عد العشرة او فهم معنى العشرة بصورة مقنعة . لقد اكتشف علماء الحيوان درجات متفوقة من النباهة الحيوانية او ما نسميه بالغرائز لدى المخلوقات المتنوعة . ولكن المعروف ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي تقدم فيه الدماغ المفكر الى درجة رفيعة جداً . فاذا ما عبرنا عن الغريزة الحيوانية بنوطة واحدة من الموسيقى امكننا ان نصف الدماغ البشري بمجموعة نوطات كاملة في فرقة نحاسية مؤلفة من عدد القطع ووجدنا بان الانسان وحده دون سائر الحيوانات قادر ان يجمع معاً تلك النوطات بتناسق فيقدم للعالم الحائناً ساحرة من جمال الموسيقى وروعة الواقع والتفكير . وحتى وجود الانسان لم تقدم العناية مخلوقاً حيوانياً ذا دماغ طيع كدماغ

الانسان الذي اتخذ كما يظهر قبساً من الذكاء من مصدر الذكاء
الاعظم مما جعله سيداً على الارض وصيره عجباً في امكانياته
وخالداً في مصيره .

واذا نحن تابعنا التشبيه الى نهايته وجدنا بان الانسان
وحده هو الذي استطاع ان يكتب النوطات على القرطاس
ويحفظ علاقاتها الدقيقة ويخترع البيانو وسائر آلات الطرب
فيسحر المستمعين ويسجل ما انتجه على لوحات اسطوانية او على
شريط مسجل ويرسله الى جميع اطراف الارض بطريق
الاذاعات اللاسلكية يشتمها بواسطة التموجات الهوائية . هذا
وقد تغلب على الاثير واخترق اجواءه العليا وهو يتحفظ للوصول
الى الكواكب البعيدة .

ثم اننا نرى شيئاً من التعاون الجماعي لدى بعض الحيوانات
اذ تصطاد فرائسها معاً وتجمع طعامها الى مخازن مشتركة تحفظها
مؤونة للجماعة بكاملها . وتقوم احياناً بمجهود مشترك في عمل
من الاعمال ولكنها لا تستطيع مجاوزة حدود ذلك المجهود .
اما الانسان فقد بنى الاهرام باستخدام القوى الجماعية واخترع
المخل والبكرة والدولاب واكتشف توليد النار وطوع
الحيوانات وسخرها لنقل الاحمال وقطرها بالدواليب فطالت
ساقاه وقوي متناه . وتغلب على قوى المياه المندفعة وعلى البخار
والغازات والطاقة الكهربائية محولاً العمل اليدوي الى سيادة
الآلة ونحكمها . وفي انتقاله من مكان الى آخر فاق سرعة

الغزلان عدواً كما صنع اجنحة لمركباته ففاز على طيور السماء
تحليقاً وسرعة . وقد تفوق هذا الانسان باعماله الفردية والجماعية
فبرهن عن ذكاء فردي وعن تعاون جماعي بحيث لم نشهد نظيراً
لذلك في كامل المملكة الحيوانية منذ وجود الحياة على الارض
حتى وقتنا الحاضر . فالانسان وحده هو الذي تميز بالذكاء
والاختراع كما تفرد بالعمل الجماعي المشترك وبوضع التصاميم
والمخططات والقيام بالمشاريع الطويلة الامد . فهل يمكن ان
نصدق ان كل هذا حاصل بتفاعل المادة مع بعضها صدفه
يا ترى ؟

كذلك تميز عقل الانسان برؤية الجمال وتمييزه وتجييده وان
كان الجمال متأصلاً في جميع عناصر الطبيعة الا اننا لم نختبر ان
حيواناً آخر غير الانسان استطاع ان يجذب الجمال ويغذي
روحه من وحيه وسحره . فالطبيعة مألوفة من معالم الجمال كما
نراه في السحب المتعاقبة وفي قوس القزح والجلد الازرق والبهجة
الرائعة التي تستولي على المتأمل بالنجوم المتألثة ، وفي طلوع
الشمس وغروبها ، وفي المجدد المستوحى في منتصف الليل -
ان كل هذه اخاذة بالمشاعر . وتحت المجهر نرى اصغر الحيوانات
واضعف الازهار مخططة بالوان من الجمال المتقن . كذلك
الخطوط البلورية الشفافة من نسدف الثلج الى اصغر حجم
يمكن هي حقائق عجيبة لا يستطيع تقليدها ا كبر الفنانين .
ان كل ورقة على كل شجرة مشكلة وملونة بضبط ودقة كما

ان مخطط كل نبتة مليء بالميزات الخاصة بوحدة جنسها ومنسقة
ابعد تنسيق يتلاءم مع جمال الفن الحقيقي . وكذلك الازهار
منسقة تنسيقاً رائعاً ومخططة بالجمال والتوافق التامين مع البيئة
ولمخططاتها هندسة خاصة ينتشر فيها اللون بدهشة وندورة بدون
تناقض .

ان الطبيعة بحالتها الفطرية منسقة وتستحق كل ما عندنا من
تقدير واعجاب . وهي التي توحى لنا فكرة وجود العقل الاسمى
الذي هو مصدر التقدير والاعجاب . وهذا امتياز لا يدركه
على اتمه غير الانسان . فالجمال لا يرفع سوى الانسان وهو
الذي يقربه من الخالق والمبدع والمكون، مهندس ومنسق هذا
الكون الاعظم .

ثم اننا نجد مقصداً بعيداً وهدفاً معيناً من النواميس المتسلطة
على هذا الكون الى الذرات المتناسكة التي تساعدنا على الاحتفاظ
بالحياة . ان المادة بحد ذاتها خالية من القصد وليس لها هدف
حتى في خضوعها للنواميس الطبيعية ايضاً . اما في الاحياء
العضوية فللمادة هدف ظاهر ومعروف يتراوح بين غو شجرة او
كرمة او فيل او انسان بحسب هندسة خاصة تقررها الصبغيات
المحددة لذلك النوع من الحياة . فبموجب هذه النظرية يصح
المعتقد العالمي القائل بان جسم الانسان ودماعه البشري انما هما
مادة وليس اكثر . ولكن هذه الذرات والمركبات في المخلوقات
العليا تأتي باعمال خارقة وتبني هياكل عجيبة تبقى بدون فائدة

ما لم يدفعها العقل في حركة ذات مقصد وذات معنى . هذا هو
الذكاء الموجه الذي لا يستطيع العلم ان يفسره ولا يستطيع ان
يقول بماديته فقط .

فهل الذكاء مجرد وهم يا ترى ???

ألسنا نجد بان الله يعمل بطرق عجيبة في جميع اعماله التي
يعملها ؟ الا يحق لنا بان نشترك مع المرنم في القول :
ما اعظم اعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت .. !!!

معرفة الزمن

ان الشعور بوجود الزمن ميزة محصورة بالحياة الحيوانية ولا يقبس الزمن سوى الانسان . ان الأحياء فقط تقيس الزمن اما الجماد فيقوم بعملية تسجيله كما يظهر في طبقات الرواسب الدلغانية التي نستطيع ان نقيز كثافتها لكل سنة مستقلة وبطريقة فجأة تظهر لنا درجة الحرارة التي كانت سائدة آنذاك . وهكذا تفعل الرواسب الكلسية المتحجرة داخل المغاور والكهوف فتعطينا اشكالا مخروطية ارضاً وسقفاً وهي تسجل لنا عمل الطبيعة خلال آلاف السنين دون ان تعي او تدرك ما تقوم به من عمل .

ان الزمن لدى جميع الحيوانات ذات التركيب العضوي عنيد لا يلين تصلبه لان للحياة مدى ولا بد لكل حي من الزوال . وليس من حي يدرك في حالته الطبيعية مقاييس الزمن غير ان الزمن هو الذي يقيس جميع المخلوقات الحية ويتسلط على اعمالها من المهد الى الابد ومن الولادة حتى المنتهى .

فلسمك البحار فصول خاصة لوضع البيوض وفصول

لتفقيسها ولكنها تلي النواميس الطبيعية دون معرفة السبب .
وفي المملكة النباتية نجد وقتاً معيناً لبذر البذور بأنواعها ووقتاً
لنموها ونضوجها وقد يتم نضج حقول ممتدة مئات الدونمات دفعة
واحدة وما عليها إلا أن تنتظر موعد حصادها وتجميعها . كذلك
الاشجار تعيش مدة معينة قبل ان تصير مشمرة وهكذا تسجل
عمرها بجلقات سنوية تتكون في جذعها الرئيسي .

ذكر عن سرب من البط كان يأتي كل يوم الى ركن احد
الجسور للحصول على الطعام بعد ان لقنت تلك الطيور البرمائية
بان تدق جرساً وضع خصيصاً لذلك الاختبار .

ثم ان لبعض انواع الطيور فصولاً خاصة للزواج نحو
الجنوب وللتجمع باسراب تطير معاً في وقت معين من الفصل قد
يمكن تعيينه بدون خطأ الى حدود اليوم . والفراش المعروف
بالمغزل يخرج من البحيرات والبرك للتلقيح الجنسي ثم لا نلبث ان
نرى اعداده الميتة بالألوف منشورة في الطرق في نفس النهار .

يقال ان في نيوانكلاند نوعاً من الجراد يعرف بالجواد السبع
العشري يعيش في شقوق الارض المظلمة ثم تظهر ارجاله بالملايين
في السنة السابعة عشرة . والزمن هو الذي يحدد وقت نقفها
ويعين اليوم بدون اي خطأ على الاطلاق .

ان جميع انواع الاحياء تحفظ الوقت وتسجله بالاحداث
ولكنها قاصرة عن ادراك العمليات الحسابية وليس ثمة من دليل
على انها قادرة على احصائها . فالفصول المتعاقبة والحرارة المتبدلة

وتتابع الليل والنهار والمد والجزر - جميعها تظهر كأنها متسلطة على الحياة ومراحلها . ولا يخفى ان عدداً لا يحصى من الناس يتعودون على النهوض من النوم في ساعة معينة دون الاستعانة بمنبه او دقائق ساعة وبقطع النظر عن موعد لجوئهم الى الفراش . وقد اضفى الانسان معنى للوقت على مواد لا علاقة لها بالزمن وهذا امر لا يمكن تقديره او الاعراب عنه . فلا توجد علاقة بالزمن سوى في أرضنا وقد لا يكون لجميع مقاييسنا اقل علاقة بالكون ككل انما تلي علينا نبضات قوية تتسلط على كل مناحي حياتنا .

ولا شعور للانسان الحيواني بالزمن ولكنه يستطيع ان يمنع تأثير هذا الزمن عن مشاعره ودوافعه . فهو في حالته الفطرية لا يستطيع ان يعبر عن عمره الا بالنسبة لحوادث معينة حصلت في تاريخ حياته . غير انه من الثابت انه ليس بمقدور الرجل ان يختار اليوم الرابع والعشرين من شهر ايار للتوليد كما يفعل الجراد بعد ان يكون قد امضى سبعة عشر عاماً في الظلمة .

وقد احب الرجل الفطري الوقت في الاوزان والايقاع الموسيقي كالضرب على الطبل او النقر على الدف . كما ان المحافظة على التوقيت في حركاته الراقصة سمت به عن التقييد بالغريزة . ان اتحاد الانعام الموسيقية معاً ساعدنا على التوصل الى الروعة النفسية التي نحصل عليها من اور كسترا الموسيقى او اجواق المرثنين . والتموجات الصوتية الجماعية في فترات معينة من الوقت

تشكل موسيقى لا يدرك روعتها الا الانسان وحده .

ثم ان التمدن الحديث ساعد الانسان على تقصي وتسجيل مقاييس الوقت بدقة أوفر . فالفصول المتكررة والمحددة بالاوقات وظهور مركز الشمس شمالاً او جنوباً من خط الاستواء أدى الى استخدام الخطوط الوهمية والاهرام وغيرها كسجلات للتاريخ في العالم . فظهور اشعة الشمس على تلك الامكنة او وصول ظلها الى اماكن خاصة - وكانت تحسب في اكثر الاوقات سرية - كان يعطي الكهان فرصة للتنبؤ عن موعد بدء الحرارة أو قرب فيضان النيل . واما في وقتنا الحاضر فاننا نجد التقاويم معلقة في كل منزل ، وهي غير كاملة ، ولكنها تكفي لتعرفنا باليوم والتاريخ والفصل الذي نقطعه ...

كذلك نستخدم الساعات والدقائق والثواني الى جزء من ألف من الثانية . وكلما تعمقنا في معرفة الوقت الدقيق كلما احتجنا الى التدقيق في علم الكيمياء والطبيعات والمعادن والحرارة وعلم الفلك . فالرياضيات العليا ضرورية جداً لقياس حركات السيارات والاقمار والمذنبات كما نعتمد على معرفتنا للوقت في تعيين حرارتها ومدى دورانها كما نستبق فنعين الكسوف والخسوف في الماضي والحاضر والمستقبل ونضبط الحسابات هذه الى حدود الدقائق والثواني . اننا نعرف سرعة النور في الثانية كما نلاحظ طبيعة الاجرام السماوية التي تضبط نفسها بسباق غاية في الدقة وأزلي في الاتقان .

ان نظرية النشوء والارتقاء تقول بان المخلوقات الحية قد
توافقت مع البيئة وانها نظرياً لا يمكن ان تتجاوز الحدود
الحاضرة . اما الانسان فتقدم الى ما فوق الاحتياجات الضرورية
فتوصل الى معرفة الزمن وذلك يرفعه عن تلك الحدود الطبيعية
التي تقيد بها هذه النظرية . ففياً هو ينمو في ادراك معنى الزمن
يقترّب ايضاً من ادراك كنه بعض النواميس الكونية ومعرفة
الذكاء الاسمى . وعلى هذا يكون الانسان المخلوق الوحيد الذي
يعرف معنى الزمن ومعرفته هذه تقربه اكثر فاكثراً الى شيء
اعظم جداً من المادة . فتمت حصلت تلك الخطوة البشرية من عالم
التشويش والفوضى والاضطراب ومن جميع المركبات المادية
وجميع انواع الاحياء ؟ ينبغي ان تأتي من شيء اعلى واسمى
وليس من الصدفة ...

استخدام الخيال

والتي هي ذكاء بشري وميزة خاصة بالانسان دون غيره من الحيوانات . ففي خياله يستطيع المرء ان ينتقل فجأة حيثما اراد . فالخطيب يستطيع ان يحمل سامعيه حيث يشاء . فاذا هو رغب في وصف جزيرة مرجانية من جزر المحيط يتصور بمخيلته جزيرة كهذه كما يحمل سامعيه بالخيال فيجعلهم يتصورون جزيرة تحيط بها الشيطان المرجانية من كل ناحية . ثم يصف لهم لون المحيط والجو الصافي فوق تلك الجزيرة واشجار النخيل المتأيلة في مهب الريح والغابات الكثيفة ذات الاشجار الباسقة التي تكثر في الاقاليم الحارة .

من هذا المشهد الاستوائي يستطيع الخطيب ان ينتقل بسامعيه الى جبال الجليد الزاحفة من القمم باتجاه الاودية والاراضي المنخفضة كما يلفت الانظار الى الجبال الشاهقة المكحلة بالثلوج والمرتفعة في الافق والمتشحة باشعة الشمس المشرقة لتزيد النظر رونقاً وجهاً .

وهو قادر ان يحمل سامعيه الى الكواكب البعيدة فيسمعهم

قرقرة العناصر الطائفة ويشعرهم بتدفق النور والحرارة لينحيا
حياة للارض وما عليها وليريا سكانها صورة بينة لهلال مشرق
خلال اشجار الغابة الشديدة الحلك .

ان قوة التخيل عند الاولاد هي مصدر سعادتهم العظمى .
فهم يستخدمون تلك القوة في لعبهم ومرحهم كما نلاحظ ذلك
بين رفاق اللعب . فالصبي الذي يحمل بندقية خشبية قد يعتقد بانه
جندي حقاً .

على ان الثقافة والاختبار والمهارة والبيئة قد تساعد على
تحويل طرفة فريدة من الخيال الى عمل فني كتمثيلية او سمفونية
او صورة ملونة او تركيب آلي رائع . فالافكار هي بنات
الخيال واساس النبوغ والاختراع . وان اعظم الاعمال التي يقوم
بها العقل البشري من اكتشافات واختراعات او صنع آلات او
تقهم تام للرياضيات العليا انما هي تحقيق للافكار المتولدة في ذهن
الانسان وبراها الى حيز الوجود .

غير ان البيئة المادية قد تكون عائقاً في طريق الخيال ولذلك
فلسنا نعتمد على الخيال حتى يتبرهن بالملاحظة والاختبار
او الاكتشاف . ولا يحسب تفكيرنا الخيالي بحسب عقولنا المادية
حساباً للوقت او للمسافة فالخيال يصل الى هدفه بطرفة عين اكان
ذلك الهدف كوكبا سماوياً في اقصى الاجواء او شخصاً
يجلس بقربك ...

ولا بد لنا من الوصول الى هذه الحقيقة وهي ان المقدرة

على التخيل قريبة من الروحيات . فاذا كان ثمت خلود للروح كان هنالك خلود للخيال ايضاً . فاذا كانت الروح الخالدة ترى الاشياء على صحتها فهي اذن متحلية بجميع الحواس التي تتميز بها المخلوقات العليا . فهي تستطيع ان تنفذ الى حقول جديدة من المعرفة والاختبار والشعور . وقد تنعم تلك الروح بالموسيقى الشيقة المتولدة من تموجات أثيرية لا حصر لها ومن الوف النغيمات الصوتية . كذلك الالوان البهية التي تراها العين البشرية تنتظر ارتقاء طاقتنا لتفهمها على اكملها كما ان مفاجئات رائعة لا تعد ولا تحصى تنتظر تحقيق روح الانسان المحررة .

ان الروح الخالدة التي لا يعيقها زمان او مكان تستطيع ان تتخيل احبائها فتحتضنهم الى صدرها بالحبة . وعندما تصبح تلك التخيلات حقيقة روحية يستطيع ذلك الانسان ان يرى الحقيقة العظمى التي يراها اولاد الله وهي ان السماء حيث يريد الناس ان تكون . وعليه لا بد لتخيلاتنا من ان تتم فيسمع الصم اصوات الجمال ويبصر العمي آيات الله العظمى في خلقه ...

وكلما ارتفعت الروح الخالدة في الانسان نحو الله كلما اقتربت من اللاهوت الاسمى فزالت من المحيلة معالم الجمال في العالم المادي الذي خلقه الله كما تزول من الذاكرة حوادث الطفولة عندما يصل الانسان الى سن البلوغ . وهكذا تصل الارض الى درجة الحقارة اذا ما قورنت بالنظام الكوني ككل وبحسب ايجاد المعنى الروحي تظهر المادة مثل الظل الذي يضمحل امام الشمس

المرتفعة فوق الافق ثم يحتفي اختفاءً مطلقاً ...
وضمن نطاق روحه يستطيع الانسان ان يتصور اللاهوت
الالهى وفي تقدم روحه وتطورها يقترب اكثر فاكثر الى
التحقق من عظمة وقدره ومجد الخالق العظيم ...

المقصد العظیم

ان جميع الدلائل تشير الى وجود تنظيم وراء هذا الكون
قصد به تقدم الانسانية ورفاهية الجنس البشري . واكبر الادلة
على وجود هذا الدافع واقرب ايضاح يتفق والمنطق هو وجود
عقل مدبر وراء كل هذه المخلوقات . ومن اروع تلك الحقائق
بقاء الانسان خيماً مع تقلبات الزمن وتطوره وسط الادوار التي
مرت عليه خلال ملايين السنين . ان هذه الحقيقة ذاتها تفصح عن
نفسها وتكلم بنفسها .

لو جئنا نتحرى الموافقات التي وجدت على الارض والتي
ساعدت على وجود واستمرار الحياة الانسانية على سطحها لرأينا
ان وجود الكرة الارضية كان في الموقع المناسب بالضبط وان
قشرة الارض الترابية معدلة وموافقة الى حدود عشرة اقدام .
فلو كان المحيط اعظم مما هو عليه بمقدار بضعة اقدام لما حصلنا على
عنصر الاكسوجين ولا على اي نوع من انواع النبات . كذلك
تدور الارض على محورها مرة واحدة في اربع وعشرين ساعة
فلو طالت مدة دورتها اكثر لتعذر علينا البقاء احياء . ولو زادت

سرعة حركتها حول الشمس او نقصت لتغير وجه تاريخ العالم المادي بالكلية . والشمس هي الجرم الوحيد من بين الوف الاجرام السماوية الذي تمكن من ايجاد مقومات الحياة على الارض وجعل انواع الحياة الموجودة عليها ممكنة . فتوافق الشمس عجيب من حيث كثافتها وحرارتها وميزات اشعتها وهي مناسبة لوجود الحياة على الارض كل المناسبة . كذلك الغازات التي يتألف منها الهواء متوافقة مع بعضها الى حد يجعل اقل تغيير طارئ سبباً للدمار .

واذا اخذنا بعين الاعتبار حجم الارض ومركزها في الفضاء ودرسنا التوافق القائم بمنتهى الدقة والاتقان وجدنا ان حدوث بعض تلك الموافقات صدفة يقع في حدود المليون وان حصول كل تلك الموافقات معاً صدفة يمكن ان يحصى بالبلايين . فبمجرد مراجعتنا غرائب الطبيعة يتضح لنا بان هنالك تصميماً وقصداً معينين فيها كلها . وهو نظام يقوم بتنفيذ حذافيه الكائن الاعظم الذي ندعوه إلهاً . وقد نرى في هذا النظام سلسلة من التطورات انتهت الى وجود الحياة ثم تطورت فصارت انساناً . والجدير بالملاحظة ان الانسان في جميع تلك الاحوال كان قاصراً واحتاج الى حماية . وبامكاننا ان نقول بانه كان يسترشد بالكائن الاعظم ويهتدي بهديه . وهكذا تقدم ذلك النظام الروحي فاوجد بيئة صالحة لان تحتفظ بمخلوق آدمي قادر على استخدام دماغ كدماغ الانسان .

ولما كانت عقولنا محدودة فأننا لا نستطيع ادراك غير
المحدود . ولذلك كان لا بد لنا من فرض وجود ذكاء عام
كقاعدة اساسية لكل شيء . وهذا يشمل تكوين الذرات
والكواكب السيارة والشموس والاكوان . فالزمان والفضاء هما
عنصران بحسب هذه النظرية وان كل محاولة لتشخيص هذا الذكاء
تخير اعظم العقول .

كذلك لا يحق لنا بان نجعل الانسان الهدف الاسمي والاوحد
في هذا النظام ولكننا نستطيع ان نفكر به ونعتبره كمظهر
واحد من مظاهر ذلك المقصد الاسمي . ولسنا ندرك جميع هذه
الامور ما لم نزد تطوراً وتقدماً . على ان جميع المعلومات التي
توصلنا اليها تشير الى اننا متجهون نحو تلك الغاية الفضلى ولا بد
من الوصول يوماً الى الهدف الاسمي . واما حظ الصدفة في
تكوين هذا الكون فقليل لان هذا الكون العظيم مسير بحسب
نواميس علمية لا تتغير ولا تتبدل . وان تحول الانسان من
حيوان متأبد الى مخلوق عاقل مميز انما هي خطوة اكبر من ان
تحدث بواسطة التطور الذي تقول به نظرية النشوء والارتقاء
وبدون قصد مبدع .

واذا نحن سلمنا بوجود القصد بقي الرجل مجرد آلة وليس
اكثر . ولكن من الذي يجعل هذه الآلة تتحرك وتعمل ؟ فبدون
عمل لا نفع للآلة .. ان العلم لا يستطيع ان يبرهن العامل كما
انه لا يستطيع ان يصرح بان العامل عبارة عن مادة لا غير...

ان التطور الذي حصل منذ وجود الحياة البشرية على الارض
كاف لان يرينا بان الله قد وهب الانسان قبساً من ذكائه الخاص
وبهذا المعنى نقول ونحن متأكدون من صوابية قولنا بان الله
خلق الانسان على صورته ومثاله . والانسان ما زال طفلاً من حيث
الخلق وقد بدأ يشعر بوجود ما يدعوه روحاً . وهو ينمو ببطء في
تحقيقه من معرفة هذه الهبة ويحس بخلودها بقوة الغريزة . فاذا
كان هذا التفكير صحيحاً - والمنطق يؤيد صحته - اصبحت
هذه الارض الصغيرة التي نساكنها ، وربما غيرها ايضاً ، ذات
مغزى لم يحلم بمثله . وبحسب معرفتنا لقد ولّد عالمنا هذا اول
آلة مادية مضيئة اليها جزءاً من الذكاء الاسمى ، وهذا يرفع
بالانسان من الغريزة الحيوانية الى قوة التفكير التي تقدر ان
تعني معنى الكون وتفرعاته الكثيرة وتحس بمجد الكائن الاعظم
وتفرح باعماله الخارقة ...

ما اعظم اعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت !!!

الصفحة المحررة

لنفترض ان معك كيساً يحوي مائة كلة، تسع وتسعون (٩٩) منها سوداء وكلة واحدة بيضاء. فاذا خلطتها معاً واخرجت واحدة منها تجد ان احتمال اخراجك الكلة البيضاء في السحب الاول واحدة في المئة . واذا اعدت الكلة الى الكيس وبدأت بعملية السحب ثانية تجد ان احتمال اخراجك الكلة البيضاء مرتين بالتتابع يأتي مرة واحدة في عشرة الاف مرة (مائة مضروبة بمائة) . ثم حاول للمرة الثالثة تجد ان صدفة سحبك الكلة البيضاء ثلاث مرات متوالية تحصل مرة في المليون (مائة مضروبة بعشرة الاف) . واذا كررت العملية صعداً حصلت معك ارقام تفوق اعداد النجوم التي لا تحصى .

خذ شدة من ورق اللعب واخلطها جيداً ووزعها على اللاعبين ولنفرض بان التوزيع جاء بالتتابع وتجمعت الاوراق كلها من اللون الواحد في اليد الواحدة مع اللاعبين كافة .. فهل يصدق احد في العالم بان تلك العملية قد حصلت بدون ترتيب سابق ؟ ان صدفة مجيء ورق اللعب على الترتيب المتقدم ذكره قد لا

تكون حصلت في جميع العااب الورق منذ اختراعه الى وقتنا الحاضر . ولكن قد يحدث ذلك صدفة الا ان الصدفة مخطئة وشاذة وغير منتظمة ولا تخضع لاي ناموس حسابي .

من هنا نستنج بان وجود الحياة على الارض بطريق الصدفة امكانية ضيقة للغاية وان لدينا الشواهد الكثيرة على ان جميع مستلزمات الحياة لا يمكن ان يتحقق وجودها على احدى السيارات في وقت من الاوقات بطريق الصدفة العمياء . فحجم الكرة الارضية وبعدها عن الشمس وحرارة الاشعة الشمسية التي تولد الحياة وكثافة القشرة الترابية التي تغلف الارض وكمية الماء الموجودة وكمية ثاني حامض الكربون وحجم عنصر النيتروجين ونشوء الانسان ومحافظته على البقاء جميعها تدل دلالة قاطعة على النظام الذي جاء في اعقاب الحراب الاولى كما تم عن هندسة وتصميم ووجود قصد وراء ذلك كله وتعكس لنا حقائق تتفق وناموس الرياضيات الذي لا يلين . كل هذه لا يمكن ان تكون قد وجدت على احدى السيارات مرة واحدة في بليون مرة لمجرد الصدفة . فعندما تتوفر لدينا الحقائق الراهنة ونثبت من سلامة عقولنا التي ليست مادة فهل يعقل بعد ان نتمسك بمثل هذا الدليل الواهن فنأخذ الصدفة الواحدة في البليون ونقول باننا وكل شيء آخر في الوجود نتيجة الصدفة ??

هنالك ٩٩٩,٩٩٩,٩٩٩ مرة مقابل مرة واحدة لامكانية حدوث الصدفة وللاعتقاد بانها مرد جميع الامور . والعلم لا

ينقض هذه الحقائق كما انه يؤيد صحة الارقام كما ذكرت .
الا اننا نصطدم هنا بمقاومة العقل البشري المعروف ببطئه في نبذ
المعتقدات الراسخة . فالليونان القدماء اعتقدوا بكروية الارض
ولكن بقي العالم مدة الفي سنة حتى اقتنع بان ذلك المعتقد كان
حقيقة واقعية .

ان الافكار الجديدة تصطدم دائماً بعقبات وبهزء ومقاومة
واما الحقيقة فتخلد وتتحقق !!!

العلم واللاهوت

نجد في الاصحاح الاول من سفر التكوين قصة الخلق وحقيقة وجود الحياة على الارض . وهي قصة ميثولوجية لم يقصد بها ان تكون حقيقة تاريخية او وصفاً جغرافياً او اختباراً علمياً او مشهداً روائياً انما قصد بها ان تعبر عن حقيقة روحية خالدة فسمت بهذا الاعتبار فوق كل ميثولوجية أخرى لدى شعوب الارض بروعة الفاظها وسحر بيانها وعمق اسرارها وغزارة فائدتها وقوة توجيهها وتأثيرها . فهل لنا ان نمتحن تلك الحقائق الروحية كما هي مدونة في ذلك الفصل من الكتاب الالهي ???

« في البدء خلق الله السموات والارض وكانت الارض خربة وخالية ... »

هذا يشير الى الحراب الذي عم الكرة الارضية قبل تكوينها عندما انفصلت كتلة من الشمس واخذت تدور حولها في مدار بيضاوي الشكل وذلك بفضل عمل الجاذبية وفي الوقت الذي انفصلت فيه بقية الكتل فكونت السيارات التي تدور في النظام

المعروف بالنظام الشمسي .

« وعلى وجه القمر ظلمة ... »

اي عندما كانت مياه المحيطات في حالة تبخر وكانت كلها في الفضاء مكونة غيوماً كثيفة حجبت وصول النور الى وجه الارض .

« وقال الله ليكن نور فكان نور ... »

ذلك عندما تبددت السحب وبرد وجه الارض وبدورها حول نفسها سببت الليل والنهار .

« وقال الله ليكن جلد في وسط المياه ... »

ذلك يشير الى بروز اليابسة من اليم وظهور القارات وفوقها جلد السموات ...

« وقال الله لتنبث الارض عشباً وبقللاً يزر بزرا وشجورا

ذا ثمر كجنسه بزره فيه على الارض ... »

هنا نرى الحياة النباتية تتقدم الحياة الحيوانية لان الثانية متوقفة على الاولى . وهذا يؤيده العلم ويقرره .

« وعمل الله النورين العظيمين ... والنجوم ايضاً .. »

فبرزت الشمس والقمر وسط السحب وعندما تبددت السحب نهائياً اخذت النجوم تظهر مشرقة في الجلد ايضاً .

« وقال الله لتفص المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير

فوق الارض على وجه جلد السماء .. »

هنا نرى بان جميع المخلوقات تكونت في المياه . وجلد السماء
هو الهواء الجوي المحيط بالكرة الارضية ...

« وقال الله لتخرج الارض ذوات انفس حية كجنسها
بهائم ودبابات ووحوش ارض كاجناسها وكان كذلك .. »
نلاحظ هنا بان الحيوانات ملأت الارض بعد ان امتلأت
البحار بمختلف مخلوقاتهما وانواع وحوشها واسما كها ...

« وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا .
فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم
وعلى كل الارض وعلى جميع الدبابات التي تدب على
الارض .. »

وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملاؤا الارض
واخضعوها ... »

وقمت كل هذه الامور في اوقاتها وتسلط الانسان على جميع
الحيوانات التي تدب على الارض .

« وقال الله اني قد اعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه
كل الارض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً . لكم يكون
طعاماً ... »

تعتبر هذه العبارة مدهشة في علم البيولوجيا بالنسبة للزمن
الذي كتبت فيه . فهي صحيحة ومطابقة للنواميس العلمية . ان
هذه العبارة المختصة بالقول لم تظهر على حقيقتها الا بعد اكتشاف

عملية تركيب الكلوروفيل (المادة الخضراء في النبات) وتحققت النظرية القائلة بان الحياة تعتمد على كل ما هو اخضر من البقول والاعشاب والنباتات المختلفة .

هذا كان النظام المتبع الذي جاء في اعقاب الحراب الذي ساد اولاً حتى وجود الانسان أخيراً وتسلمه على الحياة . فهل يستطيع العلم ان يخطيء هذه القصة الموجزة ؟ انها اوجز قصة في العالم . فهي تعطينا صورة شاملة لتاريخ تكوين العالم في بضعة سطور مكتوبة واما الباقي منها فهو باب الشرح . افلا يليق بنا ان نقدم احترامنا لذلك الكاتب الملمهم الذي لم يسبقه احد الى تدوين هذه الحقائق وان ننحني بوداعة امام حكمته ونقر بتفوقه والمهامه ؟ وبموجب هذا الاعتبار البسيط الا يجدر بنا بالاً نختصم لاجل التفاصيل والشروح الناجمة عن الترجيحات المختلفة او الزيادات البشرية او نتشاحن على معضلة وجود الخليقة وكيف خلقها الله وكـم من الوقت استغرقت تلك العملية ومتى تمت ... ومن يدري ؟ ان الحقائق المروية تحدثت الينا عبر الاجيال وهي خالدة وستبقى كذلك مدى الدهر ...

قد نتمكن من اكتشاف النظرية التي تفسر لنا كيفية تحول الحياة ونموها من الخلية الاصلية ولكن العلم يقف عند هذا الحد ولا يتجاوزه . وقد نتفق مع ذوي العقول المبكرة اولئك الذين بكدهم واجتهادهم وتحملهم المشاق والتضحيات في ابحاثهم قدموا لنا صورة صحيحة للحقائق الطبيعية المتسلطة على هذا

الكون ولكننا غير مطالبين بالوقوف حيث يقفون لانهم لا يرون يد الله في خليقته . ان العالم لا يستطيع ان يقرر كما انه لا يستطيع ان ينكر وجود الروح ووجود العقل الاسمى ومع ذلك ففي قرارة نفسه يشعر بتأخير الوجدان والفكر والحافطة والحواطر المنبثقة من تلك الذات التي ندعوها روحاً . وهو يعلم ان الوحي لا يأتي من المادة ... فلا يحق للعالم اذن ان يقول كلمته الاخيرة عن وجود العقل الاسمى حتى يتمكن من تقرير ذلك نهائياً والى الابد ...

ان مجرد شعور الانسان في كل زمان ومكان منذ فجر الوجود الى وقتنا الحاضر بدافع الاعتماد على شيء اعتقد انه اسمى واقوى منه بالذات لدليل على ان الدين غريزي فيه وانه ينبغي ان ننظر اليه بهذا الاعتبار ونعترف بهذه الحقيقة علمياً . فاذا ما اضى الانسان هذا الشعور على تمثال منحوت واعتبره قوة خارجية للخير او للشر فذلك ليس بالامر المهم . انما تقع الاهمية في الحقيقة المجردة وهي اعترافه بابه الذي في السموات .

ونحن الذين اتيت لنا فرصة الاطلاع على اسرار الكون بصورة لم يتمتع بها جيل آخر قبلنا لا ينبغي ان ننظر بازدراء الى سخافات اولئك الذين تقدمونا او اولئك الذين ما زالوا يرون الحقائق بخلاف ما نراها نحن . بل بالاحرى علينا ان نقف برهة واحترام لدى اجماع البشر على البحث عن الله والايمان به كخالق اسمى .

أليست روح الانسان المخلوق هي التي تشعر بهذه الشرقة مع الذكاء الاسمى ؟ وهل نخشى بان نؤكد ان هذا الشعور الديني الذي هو ميزة الانسان فقط دون سائر المخلوقات الحية انما هو جزء من ذلك الخالق العاقل ككل صفة اخرى . ان وجود هذا الدافع الديني في الانسان لدليل على مقاصد الذكاء الاسمى كوجود الدماغ المادي العجيب فيه مقرر كيانه الحساس .

من المقرر ان الذرة لم تنعم يوماً من الايام بهبة العقل المفكر كما لم يصدر عن اي مركب عنصري اي معتقد ولم بين اي ناموس طبيعي كاتدرائية . ولكن استجابة لبعض الدوافع في الحياة نشأت بعض المركبات الحية مجهزة بما تنصاع له ذرات المادة صاغرة فرأينا اذ ذاك جميع عجائب المدنية الحديثة . فما هو هذا المركب الحي ؟؟ هل هو ذرات مؤلفة من الكثرونات وبروتونات ؟ نعم ... ثم ماذا ؟؟ ومن اي شيء آخر ؟ من شيء غير مدرك بالحواس ... هو اعلى من المادة التي يتركب منها العالم ولكنه يختلف عنها بانه لا يوزن ولا يقاس ولا يرى . وبحسب اختبارنا لا يتسلط عليه اي ناموس . هذه هي روح الانسان التي هي سيدة مصيرها ولكنها تشعر بعلاقتها بمصدر وجودها . وقد سنت شرائع ادبية تميز بها الانسان عن سائر المخلوقات مبنية على اساس وجود الروح . ولا عبرة في تسميتها انبثاقاً عن تمازج مادي لاننا لا نستطيع ان ندرك كنهها

بواسطة انابيب المختبرات العلمية - فهي كائنة وتظهر ذاتها
بأعمالها وبتضحياتها وبتسلطها على المادة بالذات وفوق كل شيء
بمقدرتها على رفع الانسان المادي بضعفه البشري وبكل ما عنده
من اخطاء الى انسجام مع ارادة الكائن الاعظم . وهذا هو
معنى قصد الله حقاً ... وهذا يفسر لنا الميل الذي يتفرد به
الانسان الا وهو الاتصال بمن هو اعلى واسمى منه ... وهذا
يبين لنا اساس الدافع الديني الموجود فيه ... هذا هو الدين
بجوهره !!!

ان العلم يقر بنزعة الانسان نحو الامور العالية ويقدرها
ولكنه لا يعتبر مئات الدساتير من العقائد الدينية مع انه يرى
فيها جميعها طرقاً متشعبة ولكنها موحدة بتوجيهها نحو عبادة
الاله الواحد . فما يراه العلم وما يعترف به المفكرون انما هو هذا
الايان العام في كل زمان ومكان بهذا الكائن الاعظم وان
اختلفوا بتسميته وبطرق عبادته .

واما انتقال الانسان الى الاداب والشعور بالمسؤولية فنتيجة
من نتائج الايمان بالله والاعتقاد بالخلود . كذلك الاختبارات
الدينية تكتشف نفس الانسان وترفعها درجة بعد الاخرى حتى
يشعر ذلك المخلوق بحضور الله الدائم معه وحتى تصبح تلك
الصرخة الغريزية فيه « اللهم ارحمني انا الخاطيء » طبيعية وبغير
تكلف . وليس من شك في ان ابسط الصلوات واوفرها سداجة
ترفع الانسان وتقربه من خالقه ...

ويدلنا الاختبار على ان الوقار والمحبة وكرم الاخلاق وسمو الآداب والالهام وما يمكننا ان نسميها صفات الهية لا تنبعث من الكفر ولا تأتي بطريق الجحود وكلاهما شكل من اشكال الاعتداد بالنفس يضع الانسان في منزلة الخالق . وبدون الايمان تفلس المدنية ويتحول النظام الى ضرب من الفوضى والتشويش وينتفي الرادع ويسود الشر وينتشر في العالم .

فالافضل ان نتمسك بايماننا في الذكاء الاسمى وفي محبة الله واخوة الجنس البشري رافعين نفوسنا اليه ومقربين منه اكثر فأكثر بعمل مشيئته كما يعلنها لنا كتابه الطاهر وقبول مسؤولية اعتقادنا باننا خليقته واننا جديرون بعنايته ورحمته ...

ان مدة وجود الانسان على الارض قصيرة جداً اذا ما قيست بالابدية . وان عدم وصوله للكمال في مدى عمره القصير ليس الا حافزاً له في تطوره من مجرد مركب كيمياوي الى ما يمكن ان يتوصل اليه فيصير روحاً طاهرة . وان الخالق العظيم سيقدم لنا الفرصة حتى وفيما نحن سائرون نستطيع ان نردد هذه الصلاة الحارة التي نحن جديرون بها :

اللهم قدنا في طريق هدفك الاسمى ...

وارفعنا الى الانسجام الروحي مع بعضنا البعض ...

وامنحنا المقدرة لنصير جزءاً من هذا التقدم نحو الكمال

الروحي ...

وأهلنا لخدمتك بان تجعلنا اداة لتتميم مشيئتك على الارض .
امين

النظر في الفلسفة في الحياة

يقدم الدين لابناء هذا العصر مثلاً أعلى للحياة المجيدة في حين
ان مغريات كثيرة تحاول ان تتحداهم متطلبة ولاءهم التام فتراهم
ينظرون الى الحياة فيجدونها ممتدة امامهم كطريق معبدة
تنبسط ثم تتلوى وتنحني ثم تحتفي في بطون الاودية... وقد تمتد
صعداً في سفوح الجبال الى ان تحتفي وراء الافق الاكمد. فماذا
تعني يا ترى؟ وكم هم الذين يدركون اسرارها؟ وما هي
الحياة المجيدة؟

هنالك تحديدات عديدة لمعنى الحياة تختلف من الانغماس
بتوافه الامور الى نظرة التشاؤم الكلي كما عبر عنها نابغة
ادباء الانكليز شكسبير بقوله على لسان مكبث : -

الى الفناء الى الفناء ايتها الشمعة الصغيرة !

فالحياة ظل زائل ومثل هزيل يتخطر مضطرباً

على مسرح الحياة ، ثم يختفي وراء الستار

على ان لا يعود ابداً !!!

لقد جمع احدهم النظريات الفلسفية تحت فرق ثلاث اذ قال :
ينظر الانسان المستنير الى الحياة فيراها رواية هزلية او مأساة
او مجوناً . فاذا كان عاقلاً استفاد منها في جميع وجوهها
واحوالها . فلننظر الى هذه الفلسفات علنا نعتز على ما يرشد سبيلنا
الى الحياة المجيدة ...

كثيرون يحسبون الحياة مهزلة كبرى فيؤلهون بطونهم
مستهدفين اللذة الوقتية كما قال عنهم رسول الامم : لنا كل
ونشرب لاننا غداً سنموت . فالحياة عند هؤلاء رواية هزلية
تشكل فصولها المتعة الجنسية والمسكر والميسر والانغماس في
الملذات . وغاية الانسان في الوجود ان يمثل دور العابث في الحياة
كمن يمثل رواية مشحونة بالاغلاط . انها قبل ان ينسدل الستار
قد تتحول الى مأساة مفجعة . ولدى هؤلاء الذين يعتقدون بالهزل
وحب الملذات غاية رئيسية في الوجود يكون للفشل وضعف
القلب والموت السلطة الاخيرة عليهم . وان هم تبعوا فلسفة
الاكل والشرب لانهم غداً سيموتون يصبح ظل الموت الخيف
متجهاً نحو المؤخرة حتى لا يروه مطلقاً .

كانت مرة فرقة تمثيلية تقوم بعرض رواية هزلية . وفيما كان
الناس في غمرة من السرور واذا بالنار تشب في احدى زوايا
المسرح فيهم الحاضرون على وجوههم دافعين بعضهم بعضاً في
هربهم من الخطر فيتحول ضحكهم الى مهزلة ومرحهم الى رعب
فمأساة مكدره . وكمن عرس يتحول الى مأتم وكمن فرح

ينقلب الى حزن وكم من ضحك يتبدل بكاء ونحيب . فمن يطلب الحياة عن طريق اللذة قد يجد وهو يفتش عن النعمة أشر وافظع نعمة...

اما المتشائمون فيقولون ان الحياة مأساة لا نهاية لفصولها لان عالمنا هذا مليء بالالم والتعاسة الى حد كبير . وفي عرفهم ان اكثر ممثليها ينتهون الى الانتحار قبل ان تنتهي فصول الرواية . نعم قد يجد بعضهم نوعاً من الفضيلة المتطرفة في هذه النظرة الفلسفية تصورها مقبولة نوعاً ولكننا لو نظرنا الى الحياة بهذا المنظار لوجدناها قائمة وخالية من القصد والمعنى . ولا يمكننا تبني نظرة حكيم الجامعة في القدم : باطل الا باطل والكل باطل . وتقول هذه النظرة التشاؤمية ان في الحياة حظاً قد تظفر به او فشلاً قد يتغلب عليك . وماعلى المرء الا ان يستمر في جهاده في جميع الظروف والاحوال . غير ان الناس لا يمكنهم ان يكتفوا بالمآسي وخيبة الامل كترجمة للاختبار البشري لا يحيد عنها .

وهناك نظرة المجنون الى الحياة . فاذا ما عبرنا عنها بهذا الاصطلاح شعرنا بانها جميلة ولكنها بدون قيمة لانها تكون خالية خاوية لا وقع لها ولا نغم وليس فيها شيء من المنطق . يدل الاختبار على ان بعض الالعب التي يرغبها الاحداث ويصرفون فيها وقتاً ومجهوداً قد لا تلذ للكبار وقد يجدون فيها الملل والسأم كبعض الالعب الآلية التي تدور بنفسها في حركة

روتينية متشابهة فيخرج المرء منها منهوك القوى وغير حاصل على نتيجة حاسمة . والحياة المجونية تشبه هذه الالعب بدورائها حول وجود خال من كل غرض ما عدا الاكل والشرب والنوم والقيام بصورة متتابعة وبدون هدف معين . هنا ينبغي ان يحدد المرء موقفه من الحياة كرواية مضحكة او مأساة مفاجئة او مهزلة فارغة ويحيا بحسب نظرته اليها .

فما هو موقفنا من هذه النظرات الفلسفية ؟ قد نجد في الحياة شيئاً من عناصر هذه الفلسفات فهي رواية مضحكة احياناً واحياناً مأساة مفاجئة وغالبا عبث لا معنى له . فما هو السر ياترى ؟ اننا لا نستقصي جميع الامكانيات المثل في الحياة ولا نسبر غور معناها بهذه التفاسير الوثنية ولا يمكننا تفهم اسرار الحياة بحسب قاعدة ضيقة كهذه القاعدة . ان هنالك تفسيراً آخر بحسب النظرة الدينية وهو ان نأخذ الحياة بمضحكتها ومآسيها ومجونها ونحوها الى مجازفة مجيدة مليئة بالمعنى وذات مغزى دائم . وما هي هذه النظرة الدينية ياترى ؟

انها كما رأها فتى الناصرة . فهو لم يعتبرها اضحوة او مأساة او مسلاة بل اعتبرها مخاطرة لتعميم مشيئة الاب . فسمعه يردد عبر الاجيال : اتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم افضل ... لم يقل اتيت لتكون لهم مهازل ومآس وسخرات ولم يعد اتباعه بنعيم دائم بل دعاهم ليحملوا صليبهم كل يوم ويتبعوه . ولكنه بين لهم في مكان آخر قائلاً : من خسر نفسه

من اجلي فانه يجدها ، اذن لقد وعد بالظفر والانتصار لا بالحياة
والعار . لقد عاش هو نفسه عيشة جرأة وإقدام وخدمة ونفع
اذ جال يصنع خيراً ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب
ودعا تلاميذه ان يتبعوه في تلك الطريق عينها فيحيون حياة
مخاطر ادبية ومجازفات روحية واجتماعية مجيدة في سبيل
الآخرين .

ان حياة كهذه لا تخلو من المرح والكابة وانه ليتوجب
علينا تقديم الشكر لله من اجل هذه التنوعات في الحياة . اذ
جدير بالمرء ان يضحك احيانا ويحزن احيانا اخرى ويسخر حتى
من نفسه في بعض الاحيان لئلا يتخذ النظرة الجدية المقطبة دائماً .
فالمرح بدون ريب يبعد الانسان من المارستان ومع ذلك فالحياة
ليست مجرد مسرحية هزلية لا نهاية لفصولها .

قد تتخلل حياة المؤمن بعض عناصر المآسي ولكنها لا تصيرها
مأساة . فالظلال السوداء في الصورة هي التي تجعلها جميلة وتزيدها
روعة . وقد يزول جمالها بزوال تلك الخطوط القائمة والظلال
السوداء . فلكي نجعل من الحياة مجازفة مجيدة نعلم الى الوان
المآسي القائمة والظلال السوداء فنبيضها ونصلحها . ان صورة
الحياة جميلة بكمالها وشمولها ، جميلة بهبوطها وصعودها ، بافولها
وشروقها ، ببحرها وبرها ، بصيفها وشتائها ، باتراحها وافراحها ...
نعم اننا لا ندرك بالضبط القصد من وجود الآلام والاحزان
والشرور والنكبات في الحياة ولكننا نستطيع ان نسمو بهذه

العناصر المؤلفة الى فوق ونرفعها بقوة الايمان الى مراتب الخير
والصلاح . فالايان هو الذي يجلب البلايا ويلبس المصائب حلة
قشبية من الصبر والاحتمال . قال احد رجال الله الافاضل : في
اشد اوقات الظلمة في حياتي ارتفع بالشكر لله اذ لا ازال أرى
بصيصا من الامل والرجاء وارى بان الحياة جديرة بالبقاء .

اصيبت سيدة بمرض افقدها بصرها . ولاول مرة ظلت
متأففة متدمرة ثم ما لبثت ان عادت الى ايمانها بالله فاخذت
ترفع صوتها نحوه بالحمد والتمجيد . وعندما سئلت عن كيفية ذلك
التغيير الذي طرأ عليها اجابت : انني اشكر الله من اجل جذوة
الايان التي كانت فيّ تقبلت تلك السيدة المصيبة وحولتها
الى بركة وارتفعت بها الى فوق وجعلت من الحياة مجازفة
مجيدة . وهو نفس ما فعله معلم الجليل وهو سائر في طريق الآلام
الى جليثة والى الموت مظهراً روحاً منتصرة فحول الصليب من
رمز الحزى واللعنة والعار الى عنوان المجد والظفر والفخار .

قد توجد امور كثيرة تجعل الحياة جوفاء وخالية من كل
غرض وغير جديرة بالبقاء لكن حياة تقضى في مخاطر روحية
لا يمكن ان تكون هزيلة . نعم ان الحياة لم تكن يوماً امراً
اكيداً فلها مخاطراتها وصدفها وفيها عناصر من الاسرار والانغاز
وفيها اثقال فوق طاقتنا كلنا نرغب بان تراح عنا وان يزول
الفضل وتتحقق الآمال ولكنها تصبح خالية من المجازفات وتشبه
حكايات العجائز للاطفال حيث تنتهي باللذة والنعيم « وطيب الله

عيش السامعين » ...

اما الحياة الدينية فليست كذلك لان عناصر المجازفة منتشرة في جميع اجزائها . والمؤمن لا ينعم بحياة هادئة في تحويله المآسي والمتاعب الى شيء صالح ومع ذلك لا ينبغي ازالة المصادفات ولا تحويل جميع اسرارها وتفهم الغازها .

وقفت سيدة يوما تراقب لعبة التنس المعروفة واخذت تسأل عن قوانينها وكيفية اللعب فيها . ولما قيل لها ان الضربة تعد خاسرة اذا اصاب الكرة الشبكة القائمة في وسط الملعب اجابت : ولماذا لا تنزع الشبكة قطعا ؟ نعم ... لماذا ؟ لا شك ان اللعبة تخسر حميتها وحماستها وجمالها . هكذا انزع من الحياة جميع الغازها وصدفها وغوامض اسرارها ماذا يبقى فيها ؟ ان يسوع لم يقدم جوابا عن جميع اسرار الحياة وغوامضها ومخبثاتها ولكنه علمنا كيف نجعل الحياة مخاطرة مجيدة .

فالحياة الدينية اذن حياة مخاطرة ومجازفة وليست حياة جين وخمول . ولقد صدق يوحنا بنيان كاتب « سياحة المسيحي » عندما وضع مدينة الكسل ابعد من مدينة الهلاك عن النور باربع درجات . فاذا كنا عرفنا كيف جعل معلم الجليل حياته حياة مخاطرة واقدام نقدر ان نأخذ مادتها الخام - فكاهتها وماسيها وغوامضها ومجهولها واقسامها الفارغة من المعنى فنجعل منها حياة مخاطرة لا تنتهي بالقبر ، بل تمتد بخدمتها وايمانها بالله الى الابدية .

هكذا نستطيع ان نأخذ الاوجاع والالغاز والمباهج والبهارج
حتى النقط الجوفاء فيها والاحزان المبهمة ونحوها الى مخاطرة
مجيء لمساعدة مجيء ملكوت الله على الارض .

ولكي تكون حياتك مجيدة عليك ان تضع المجد فيها
بذاتك !!!

الحياة الفضلى

الحياة لغز حير عقول العلماء والحكماء على مدى العصور
وتوالي الاجيال . وقليلون هم الذين ادركوا كنه الحياة ووقفوا
على اسرارها ومعانيها كما ان القليل منهم من عرف كيف ينعم
بغناها ويتمتع باحسن واجمل ما فيها .

ولسنا نعرف احداً عرف معنى الحياة على حقيقتها افضل من
معلم الناصرة الذي قيل عنه ان فيه كانت الحياة والحياة نور
الناس والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه (يو ١ : ٩٠٤)
وهو الذي قال عن نفسه : انا هو الطريق والحق والحياة
(يو ١٤ : ٦) وقد اتى لكي يمنح هذه الحياة للآخرين ويمنحها
على أتمها وافضلها : اتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم افضل
(يو ١٠ : ١٠) . فما هي هذه الحياة الفضلى التي جاء ليمنحها
للنفس؟؟

يظن البعض ان الحياة تحدّد بالطول وهو ظن خاطيء .
فتموت صالح عاش ٩٦٩ سنة ولكن حياته كانت خالية خاوية كما

يظهر ولم يأت متوشلح وغيره ممن ذكروا بطول العمر سوى
انهم ولدوا بنين وبنات (تك ٦ : ٢٧) .

ان هذا المقياس هو مقياس الحيوانية للحياة . فهو مقياس
الطول وكثرة البنين واما الحياة الفضلى فلا تقاس بالسنين ولا
بكثرة البنات والبنين .

وبعض الناس يقيسون الحياة بدرجة شهرتها . فالاسكندر
الكبير دوخ العالم القديم وجمع الشرق بالغرب . ولكن شهرته
قامت على القتل والنهب واستعباد الضعفاء . قيل انه قبل موته
اوصى بان يوضع جثثانه في التابوت وكفه مبسوطة الى الخارج
علامة ذهابه من هذه الدنيا فارغاً كما أتى . وهذا ما فعله نابليون
اذ بنى عرشه على هرم من جثث الارباء . واخيراً دالت
امبراطوريته وانتهت حياته اسيراً في جزيرة نائية . فماذا ينتفع
الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه .

وهذا نفس ما فعله هتار ولم تعرف نهاية حياته وكيف
حصلت سوى انه اندحر وكانت نهايته فشلاً ذريعاً . وهكذا
يمكن القول عن الكثيرين غيره ممن سجلوا فشلهم باناملهم وكتبوا
اسماءهم في عداد الفاشلين . فالحياة الفضلى لا يمكن ان تقاس
بنجاحها الظاهري .

في بوسطون يقيسون الرجل بدرجة العلمية وشهادته
الجامعية . وفي فيلادلفيا يقيسونه بحسبه ونسبه - من هو ابوه
ومن هي أمه ، والى اية اسرة ينتسب . وفي نيويورك يسألون

عن بلاده ومسقط رأسه ومن اي بلد جاء . وفي شيكاغو يقيسونه
بثروته ومقدار ما يملك من المال . ولكن هذه كلها مقاييس
ناقصة لا تثبت للامتحان . فما هو مقياس الحياة الفضلى يا ترى ؟
حاول احدهم ان يحدد الحياة فقال : انها توافق الاحياء النامية
مع البيئة . ولكن بعد ان نسمع هذا التحديد المدرسي نعود
فنسأل ولكن ما هي الحياة ؟

وجرب شاعر بان يصف الحياة فقال : انها مخلوقة عجيبة
يعرفها الطفل فيركض معها في الحقول ويتمسك باهدابها في
الشوارع ويلعب واياها على وضح النهار ويتسامر معها على ضوء
القمر . ويعرفها الفتى فيرى رسم قامتها بين الغيوم ويشاهد خيالها
في بطون الكتب ويتمتع بجلاوتها في الاسفار . ويعرفها الرجل
فيتحدث اليها ويستفسر عنها ويدنو منها ويشكو اليها . ويعرفها
الشيخ فيسعى وراءها ليستعطفها بدموع ساخنة اما هي فتجسد
بالهرب منه لتختبيء وراء اوراق الحريف . اذن فالحياة هي
مرح الطفولة وزهرة الصبا وأمل الشباب وقوة الرجولة وضعف
الشيخوخة .

وهكذا يتبين لنا باننا وان تعذر علينا معرفة اسرار الحياة في
جوهرها فبإمكاننا معرفة غرضها وممرها . لذلك كان لزاماً علينا
ان نوجه السؤال لانفسنا اولاً : من انت ومن انا ومن نحن ؟
فعلى قدر تقديرنا لنفوسنا يكون تقديرنا لحياتنا . فاذا كنا نؤمن
بان نفوسنا نور فحياتنا تكون ظلاً لهذا النور . واذا اعتبرنا

نفوسنا غباراً كانت حياتنا ذرات لهذا الغبار . وإذا نظرنا الى
نفوسنا كأنشودة فحياتنا نعمة لتلك الانشودة . وإذا نظرنا الى
نفوسنا كقيثارة فحياتنا تكون اوتار تلك القيثارة . فمن نحن
يا ترى ؟

لندع الآخرين يقولون عن انفسهم ما يشاؤون وأما انتِ
يانفسي فقولي مع الشاعر المجلي ايليا ابي ماضي :

إيه نفسي انت لحن فيّ قد رنّ صداه
وقعتك يدُ استاذٍ خفي لا أراه
لست ريحاً ونسيماً لست موجاً لست بحراً
لست شمساً لست رعداً لست برقاً لست فجراً
انتِ نسمة الاله ...

هذه هي الحياة من ناحية شعورنا بها فما هي يا ترى من حيث
تقديرنا لها ؟

يتأمل بها الشاعر فيقول بانها رواية وهمية ... انها غفلة
وظلال .

شهب تبين فما تؤوب فكأنها حجبٌ يذوب
وينظر اليها الكافر فيقول مع حكيم الجامعة: باطل الابطال
الكل باطل (جا ١ : ٢) .

ويراهـا المادي فيقول : هي كل شيء في الوجود . لنأكل
ولنشرب لاننا غداً سنموت . لا أزلية قبل الولادة ولا ابدية

بعد الموت .

اما الحقيقة فهي ان الحياة ليست عدماً ولا هي كل شيء انما هي فرصة والحكيم هو من نظر اليها لا بالنسبة لعدد السنين بل كيفية قضاء العمر مهما طال او قصر . اذن المهم ليس طول المرحلة بل على اي حال نقضيها . فالحياة لا تقاس قيمتها بالنسبة لطولها انما قيمتها في عرضها ومدى عمقها . الحياة لا تقاس ولكنها توزن . ان حياتنا لا تقاس بعدد الانفاس بل بمقدار نفعا للناس . الحياة كالشجرة قيمتها في ثمرها . الحياة كالسحب قيمتها في مطرها . والسؤال المهم هنا هو هذا : -

كم نبضة شريفة ينبض فؤادك ؟ وكم فكرة سامية يفكر بها عقلك ؟ وكم خدمة شريفة تقدمها يدك ؟ هذه هي مقومات الحياة الفضلى .

فكم من رجل يعمر مائة عام فاذا هي مائة من الخرائب . وكم من فتى لا يعمر الا الثلاثين فنجد حياته ثلاثين قصراً مأهولاً بكبار العواطف وعاليات الهمم وجلائل الخدمات والاعمال المفيدة .

ولكن ما هي الحياة من حيث اهدافها ومراميها ؟

ان الله قصداً معيناً في حياة كل واحد لا يمكن لأحد غيره ان يقوم به . انه خلق البشر لاعمال مجيدة سبق فأعدها لكي يسلكوا فيها ويحققوها . انه خلق الناس ليتموا ارادته !!!

فما اجمل ارادة الله وما أكملها لاننا بها ولاجلها وعليها ومنها
ولها وفيها نحن نحيا ونتحرك ونوجد ...

فما هي الحياة الفضلى اذن ؟

رسم مصور ايطالي صورة سماها « الحياة الكاملة » وهي
عبارة عن عامل يحرث أرضه وعلى مقربة منه هيكل عظيم وفي
ظل ذلك الهيكل يجلس فتى وفتاة . وكأنه اراد ان يرمز بالعامل
الى الخدمة ، وبالهيكل الى العبادة ، وبالفق وفتاته الى المحبة
المقدسة . وكأن الحياة في نظر ذلك المصور لا تكمل الا
بثلاث : الخدمة ، والعبادة ، والمحبة .

ان حياة بدون خدمة كمدينة بغير بستان . والخدمة بغير
عبادة اشبه ببستان بدون ازهار . والعبادة بغير محبة كأزهار بلا
اثمار . فالخدمة والعبادة والمحبة مثلث اساسي للحياة الفضلى لا
يمكننا فصل اجزائه عن بعضها البعض .

ومن جهة أخرى نرى هذا المخلوق البشري مدعواً دون
سائر الحيوانات ليؤدي رسالة في هذه الحياة . فهو لم يخلق عبثاً
ولم يبعث لهواً ولعباً ، بل وجد في هذه الدنيا ليقوم بأمورية
ويؤدي رسالة تجاه نفسه وتجاه المجتمع وتجاه خالقه وهي نقطة
الشروع الصحيحة . وقد ترك لهذا الانسان قوة الاختيار لينتقي
الامور الصالحة المفيدة .

فما اجمل ان يدرك هذا المخلوق انه ليس بقوته الجسدية ولا

بطاقته المادية ولا باكتشافاته الآلية يستطيع ان يؤدي رسالته
الى ابناء الحياة بل في مقدوره ان يقوم بذلك اذا استمد قوته
من رب الحياة الذي جاء ليمنحها وليكون لهم افضل ، واذا
انطلق وهو مزود بروحانية خالق الارض وصانع السموات !!!

قُدْرَةُ اللَّهِ وَسُلْطَانُهُ الشَّرُّ فِي الْحَيَاةِ

لمشكلة الشر في الحياة وجهان رئيسيان مقترنان معاً بشكل يتعذر معه فصل أحدهما عن الآخر . فالوجه الأول يعنى بالبحث عن مصدر الشر عندما نرى انفسنا مدفوعين للسؤال : وكيف دخل الشر الى عالم خلقه الله ؟ واما الوجه الثاني فيختص بقبول الشر وتحمله عندما نتساءل : وهل يمكننا ان نتغلب على الشر وكيف ؟ وما هي العلاقة بين قدرة الله والانتصار على الشر ؟ وسنتناول في بحثنا الوجه الثاني من المعضلة لانه اكثر أهمية وأقرب الى الحل من الوجه الأول .

ففي الحياة العملية نجد بان كيفية مقابلة الشر أهم من البحث عن اصل وجوده . فعندما يقع الخطأ لا ينفع البحث في سبب وقوعه الا بمقدار ما يلقي من ظل على الحلول الممكنة لاصلاحه . واما بالنسبة لبعض الشرور الخاصة او لاعتبارنا معضلة الشر ككل فلا يمكننا افتراض وجود مشكلة نظرية مطلقاً لانه اذا اردنا معالجة الحقائق نظرياً علينا ان نعالجها بانصاف وبدون محاباة وذلك ان نفترض موقفاً تحقيقياً صرفاً يقبل جميع الحقائق

المتعلقة بالموضوع بالتساوي . وهذا يعني بانه ينبغي ان نعالج جميع الحقائق باعتبارها متساوية وكأنها متشابهة للخير او للشر . والوجهة النظرية ينبغي ان تبدأ بانكار اي اختلاف جذري بين الخير والشر وعليه يمتنع وجود مشكلة الشر بالمعنى الدقيق قطعاً .

ان هذه الحقيقة الاساسية خفيفة بالنسبة لبعض الحالات الخاصة ولكنها ليست مشروعة فحسب انما هي ضرورية ايضاً بان نتخذ موقفاً تحقيقياً بحثاً حياً بالاستطلاع والاستنارة . عندئذ يحق لنا بان نتجاهل صفة الشر . فالعالم الباثولوجي المختص بعلم الامراض يختلف عن الطبيب في أن مقصده الرئيسي هو ان يدرس المرض بينما تنحصر غاية الثاني بمكافحته وشفائه . فالباثولوجي اذن لا يعتبر المرض شراً ولا يعالجه بهذه الصفة ولكنه يتخذ هذه موضوعاً للدرس والتعمق في معرفة اسبابه الرئيسية وبالنتيجة نراه غالباً منجذباً نحو الحالات المرضية التي ينفر منها عادةً عامة الناس . ومن الخير ان ينجذب الباثولوجي نحو الامراض اذ لولا ذلك لكانت الغلبة على الامراض محدودة ... ولكن لا احد ينكر بان الغاية البعيدة التي يهدف اليها العالم الباثولوجي انما هي الانتصار على المرض الذي يعد حقا شراً من اساسه وانه محق في تجاهل صفة الشر في ذلك المرض حبا بالقضاء عليه . ولكن عندما نتخذ موضوعاً لكلامنا نوعاً خاصاً من الشرور او نتخذ الشر كغاية في ذاته عندئذ يكون من الواضح باننا لا نستطيع افتراض موقف المتسائل بدون ان ننقض

معضلتنا الرئيسية من أساسها لان معالجة الشر بنفسه كأنه ليس شراً عبث وسخافة لا حد لهما . ومعالجة الشر كشر معناه محاولة التخلص منه . لذلك كما يظهر ليس سوى معضلة رئيسية واحدة للشر واما معضلة منشأه فأمر ثانوي ملحق بها .

وقد يصير بعضهم على معالجة أصل وجود الشر في الحياة برغم اعتباره ثانوياً بالنسبة لكيفية مقابلته ولكن هذا الطلب لا يثبت للحجة طويلاً . . . ولا يخفى اننا لسنا نعلم شيئاً عن أصل وجود الشر في الحياة انما نعرف قليلاً عن بعض الطرق التي قابل بها بعضهم الشرور وتحملوها وانتصروا عليها . ولذلك كان الاجدر بنا ان نبدأ من هنا في معالجة الموضوع . وسنرى اننا كلما تمكنا من اكتشاف مقاصد الله ووقفنا على طريقته في محاربة الشر متعاونين معه على تنفيذ مشيئته بالايان والرجاء والمحبة كلما اكتشفنا في نهاية المرحلة كيف ولماذا دخل الشر الى العالم . ففي نهاية المطاف وليس خلاله سنجد افضل وقت لايجاد الحلول المقنعة لاننا عند ذاك نستطيع ان نرى العملية بكاملها دفعة واحدة . فالاجدر بنا ان نرجيء البحث في أصل وجود الشر في العالم اذا تمكنا من النظر كفاية لتتابع برقاء مهمة الوصول الى نهاية المعضلة .

لذلك كان علينا ان نقصر على سؤال انفسنا كيف تعالج قدرة الله معضلة الشر في الحياة والى اي حد يبلغ رجائنا في انتصارها النهائي ؟ وبالطبع سنصطدم بالمعضلة القديمة والكبرى

وهي اما ان يكون الله كلي المحبة او انه ليس كلي القدرة .
ولو كان الله حاصلًا على الصفتين لما توصل العالم الى مثل هذه
الدرجة من الشر . فاما ان يكون الله راغبًا في الانتصار على
الشر ولكنه لا يقدر فهو اذن ليس كلي القدرة او انه يستطيع
ان يقهر الشر ولكنه لا يريد وبذلك يبرهن بانه ليس محبا
كل المحبة .

فلنبداً أولاً بالتناقض الذي تفرضه المشكلة بين المقدرة
والمحبة . لقد اظهر مؤيدو النظرية براهين مبتورة لانهم اهلوا
توجيه السؤال لمعرفة المعنى الحقيقي للقدرة . وبدون قصد نراهم
يقيسون القدرة بالشدة او بالإكراه ، ولانه ظاهر بان الله لا
يكره الناس على إطاعة ارادته يستتجون بانه ليس كلي القدرة .
ولكن كلما أمعنا التفكير الصحيح في العالم كلما اتضح لنا ضلالة ما
يستطيع الاكراه ان ينجزه من اعمال وان الشدة اذا ما وجهت
من كائنات روحية ضد بعضها البعض ان هي الا علامة ضعف
ولست علامة قوة .

فالقدرة بحسب اختبارنا تعني التأثير وهذا التأثير يقاس بالفرق
الذي يحدثه بصدد إحدى الحالات . فعندما نفكر بالعالم المادي
فقط نجد بان القدرة هي الاكراه بالذات . فتوران البراكين
والهزات الارضية انما هي نماذج من شدة الطبيعة وما تحدثه من
تغيير في مصوراتنا الجغرافية انما هو أثرها الذي تتركه ويقاس
ذلك الاثر بمقاييس اخرى والى حد ما بمقدار التغيير الحاصل في

التركيب المادي . فمقدرة المهندس لا تقاس بمجرد تغييره احجاماً كبيرة من الحجارة او من المواد الاخرى انما تقاس بالجمال الحاصل من تنسيق البناء او من منفعته وليس ثمة من قوة مطلقة تستطيع ان تضمن ذلك الجمال او توفر تلك المنفعة . فارتفاع تلك الاكوام من الحجارة في مبنى كاتدرائية القديس بطرس في رومية قد يكون عملاً عجيبيّاً ولكن لا أحد يدعي بان ذلك فقط هو سر عظمة ذلك البناء .

وعندما نأتي لاعتبار ما يمكن حصوله بين المخلوقات الروحية او بين الناس من تفاعل نجد بان الشدة تعمل بطريقة سلبية محضة . فهي لا تبني شيئاً ولا تخلق جديداً انما تؤخر ، وكما يظهر ، تقدر ان تهدم وتخرّب . ومع انها قد تكون ذات فائدة او قد تكون ضرورية لمنع تهديم القيم الروحية غير ان اللجوء الى استخدامها بين البشر ليس الا علامة ضعف ودليل عجز . فلماذا يلجأ المعلم الى استخدام القوة للمحافظة على النظام في الصف ؟ الجواب لانه يخفق في استخدام الطرق الاخرى وهو غير قادر على حفظ النظام بدون اللجوء الى القوة . ولماذا تعتمد الحكومات الى الاجراءات الشديدة لقمع الاجرام وايداع المجرمين في السجون ؟ طبعاً لا يمكن ان يكون ذلك كله لاصلاحهم او لخيرهم وما هذا الادعاء سوى مجرد جهل وتضليل . انما الجواب الصحيح هو ان الحكومة اضعف من ان تقدر على حفظ الأمن بغير هذه الطريقة . ان شدة الاحكام القضائية ذات علاقة مباشرة

بالخوف او بالشعور بالضعف في المجتمع . ولماذا تندفع الشعوب
فتخوض الحروب الطاحنة ضد بعضها ؟ ولماذا حارب الحلفاء
المانيا وقهروها ؟ لانه بالنسبة لضعف الأمم الغربية الروحي لم
يكن بإمكانها الا اللجوء الى القوة لتحافظ على التراث الاوربي من
الانهيار كما زعمت . وما هو الخطأ بالثورات الدموية كالتى جرت
في فرنسا مثلاً وفي روسيا الجراء ؟ لا شيء . على الاطلاق سوى
انها لم تكن ثورات ابدأ ولم تغير شيئاً ذا اهمية تغييراً كلياً حتى
ولم تبني شيئاً بالمعنى الصحيح . ان الثورات الدامية مسببة عن
سراة وانانية الطبقة الحاكمة من الناس . ولكن هذه الحاصل
لا تنحصر في هذا الصف من البشر دون غيرهم . فالميل الشريرة
موزعة بين الجميع على السواء وليس من طبقة اجتماعية ارستقراطية
كانت ام شعبية تستطيع ان تدعي احتكار الخطية الاصلية .
وتلك الميل الهدامة التى يدعونها ثورات تترك الجمهور بدون
تغيير او تثير الحماس في كتل من البشر دون احداث اي تغيير
جذري فيهم كما ان انقلاباً شديداً واحداً قد يكون مقدمة
لانقلابات اخرى اذا لم يصر الامن مفازة قاحلة . وان اسبق
مفكرينا السياسيين هم اولئك الذين يتجاربون مع شريعة الغاب
ويلجأون اليها لاتفه الاسباب . وان الاعتقاد بالقوة واللجوء الى
استخدامها انما هي مادة قديمة ولا يمكن التسليم بها كطريقة حل
المشاكل العالمية والاختلافات بين الشعوب .

فمن المحقق اذن ان اعظم قوة روحية ينبغي ان تكون قادرة

على تغيير حقيقة الطبيعة الروحية التي هي مصدر اعمالنا وعلى
بنائها باحكام . وهذه القوة الروحية ينبغي ان تكون اعظم ما
في اختباراتنا واعظم قوة في العالم اذا كان هذا العالم موجهاً بقوة
الروح . هذا وكلما تغورنا في تفحص اختباراتنا كلما اتضح لنا
بان قوة كهذه ليست سوى قوة المحبة في اشرف معاني تلك
الكلمة وانبلها . فالانسان الروحي الذي يماس ناموس المحبة
العامة والكاملة سيكون بحكم الضرورة اقوى مخلوق ولا يلجأ الى
استخدام القوة ضد الآخرين واذا اضطر الى استخدامها فالى اقل
حد ممكن .

ان هذه النتيجة التي توصلنا اليها توينا بان المشكلة التي نبحثها
مغلوبة ومعبر عنها بصورة خاطئة . وعلينا بان نبذل السؤال
الذي نجيب عليه ... ان جميع المؤمنين بالله متفقون على ان
طبيعته روحية وان مقدرة روحية ايضاً . فهو يري قدرته للبشر
ببناء عالم من ارواح بشرية تكون مرتبطة به وبيعضهم البعض
ارتباطاً وثيقاً . وهذه هي الغاية التي اوجدنا الله لانها . فاذا
كنا نستطيع ان نتم هذه الغاية امكننا ذلك بقوة المحبة وليس
بالشدة او الاكراه . فمحبة الله ومقدرته لا يمكنهما ان تناقضا
بعضهما بعضاً وما قدرته سوى محبته العملية . والسؤال المهم هنا
اذا كانت محبة الله قادرة كفاية لتغير العالم وتصيره كما يريد الله
ان يكون . فاذا كان الامر كذلك فهو كلي القدرة او لا
فمحبته وقدرته تحفان معا ... وعندما ندعو الله كلي القدرة

ينبغي ان نعني بان محبته قادرة بمفعولها الخاص بان تغير مجموعة الحالات التي نطلق عليها اسم هذا العالم لكي يخرج منه عالم يكون بحق مبنى للمحبة - عالم تسيطر على كل جزء فيه محبة الله وتحكم كل عضو من اعضائه .

فهل من المعقول ان نجد مثل هذا الايمان الصحيح ؟ اليس مناقضا كل التناقض لجرى الحقائق في الحياة والتاريخ ؟ ولكي نبرر الايمان بقدرة الله العليا سنفترض في النهاية بان العالم التاريخي ليس كامل الحقيقة وبان هنالك عالما حقيقيا آخر يدخله ابناء هذا العالم عندما ينتقلون من هذه الحياة الى الديار الثانية . ولكننا لسنا نبدأ بهذا الافتراض من اول الامر .

فلنتفحص اولاً قدرة الله المحبة في الاختبارات البشرية منذ كرين دوما باننا نعني بكلمة المحبة هذه ليس مجرد الشعور او العاطفة العابرة بل الارادة المجردة عن الانانية ومحبة الذات والموجهة لخير الآخرين . نرى بان هذه المحبة قادرة افضل من اية قوة أخرى على تغيير الرغبات والمقاصد التي هي مصدر الاعمال فتغير بذلك النظرة الى العالم وتفسر موقف الانسان من العالم مكونة له فلسفة خاصة . فهي اذن اداة للهداية الجديدة ادبيا وعقليا لان الاحتكاك بالمحبة تضعف حتما قوة الرغبات الشخصية المؤسسة على حب الذات والتي من شأنها ان تقسو وتهيج بالاكرام . وهي اداة للهداية العقلية لانه مع كروار الايام لا يمكن الحصول على رغبة صالحة ولا على مقصد في الحياة مغاير

لفلسفة تشاؤمية . والانسان يعرف بانه أصغر جدا من ان يكافح
ضد الكون . فاذا كانت طبيعة هذا الكون الاساسية شريرة او
غير مكترثة بالصلاح اصبحت مقاصد الانسان الصالحة جهالة
ومناقضة لنفسها لان ما كان جهالة لا يمكن ان يكون صالحا .
والحجة ينبغي ان تكون اعظم المهذبن للتفاؤل بالخير ويتعذر
فصلها عن الرجاء كليا .

ولكن مقدرة المحبة على التحويل تذهب الى ابعد من ذلك .
فهي لا تقدر على تغيير رغبات الانسان من الشر الى الخير وتحويل
نظره من الظلمة الى النور فحسب ولكنها تقدر بتفاعل كيمياوي
خاص بها ان تستخرج الصلاح والخير من الشر وان تجعل الشر
يخدم المقاصد الصالحة مرغما وهكذا يحول اعظم انهماماته
الظاهرية الى فرص للظفر والغلبة . انها تلك المقدرة العجيبة
للحصول على الانتصار وسط الفشل وللحصول على الربح من
الرفض هي التي تقدر للمحبة على ان تدعي المقدرة الكلية في
عالم يسوده الشر . ان كل نوع آخر من القوى له حدوده
الخاصة التي تميزه وتحد من قوته . ولكن يتعذر علينا ان نضع
حدوداً لمحبة قادرة على تحويل الفشل الى فرصة للظفر والانتصار .
ولا تكتفي تلك المحبة بتغيير مضطهدنا فحسب ولكنها قادرة على
تحويل خطيتهم بالذات لخدمة مصلحتها ولذا كان تأثيرها ممتداً
الى الوراء ومغيراً اياه الى قيم كما يمتد الى الامام لكي يقرر
مصير المستقبل .

وتتم هذه الأعجوبة الظاهرية بواسطة ناموسين من نواميس العالم الروحي هما تكريس الذات والانتصار على الشر وهما اعظم وأقوى سلاح للمحبة . ولا بد لنا من ملاحظة هذه الحقيقة الخالدة الا وهي ان حياة اولئك الذين تركوا اعظم الأثر في التاريخ البشري كانت عبارة عن حياة مضحية وان تضحياتهم تمثلت باخفاقهم الظاهري وان قوى الشر التي سببت لهم الفشل قد ساهمت مساهمة فعالة ومباشرة في الأثر الصالح الذي خلفوه وراءهم .

فما هي اعظم الجرائم التي ظهر فيها اعظم انتصار للشر واعظم اخفاق للصالح في تاريخ البشرية المديد ؟ انها ولا شك صلب يسوع المسيح . وما هي الحادثة التاريخية التي غيرت معظم الحياة من الشر الى الخير وسببت اعظم فرح وامتنان في القلوب ؟ انها صلب يسوع المسيح . هذا هو تناقض وهمي وعليه نبني دليلنا . ان الصليب هو علامة الحزني والعار والفشل ولكن بولس الرسول يدعوه قوة الله : لان جهالة الله - يقول - احكم من الناس وضعف الله اقوى من البشر . تصوروا ماذا كان يحدث لو ان يوماً ما تحول النفوس المتجددة بصليب المسيح جميع العالم لحكم المحبة التي هي تعبير عنه - جميع ما في العالم من رياء وغدر وجهل وانانية وجبن تلك التي تخلت عن المسيح وتركته يواجه فشله بمفرده وقد مثلت باتباعه والذين عاشوا حياة مثالية نظيره منذ بدء التاريخ - انها جميعها تلعب دورها في الحصول على انتصار

الحجة التي حاولوا ان يحمّدوا انفسها لانهم بتجريدهم الحجة من كل سلاح دفاعي يكونون قد وضعوا بيدها أفتك اسلحتها الا وهو سلاح التضحية بالذات . واذا كانت قدرة الله كلية وشاملة وقادرة على اباداة الشر فهذا ما يمكنها ان تعمله . ونحن نؤمن بذلك عالمين انه لا يمكن وضع حدود معينة لما تستطيع الحجة ان تعمله في تغيير المواقف روحيا .

ولكن قد يدعي البعض وجود العيب في مثل هذا الدليل الشامل . ولنفترض افتراضاً بعيد التحقيق بانه سيحيى وقت يصبح فيه جميع سكان العالم مخلصين ، فليس ثمة ما يبرر تحميلهم كل تلك الانواع من الآلام والشروع حتى يصبحوا كذلك . ولماذا يتبارك جيل افتراضي وحده في المستقبل المظلم والمجهول ؟ وكيف يساعدنا هذا الامر حتى ونحن نجتاز تلك الاوقات الشريفة فنخلق الفرصة المواتية بمشاطرتنا التضحيات الشخصية، فنخلق الفرصة السانحة التي ستربح العالم في المستقبل . واذا كان الله لا يستطيع ان يخلصنا ولا ان يخلص اخواننا الذين سبقونا ، واذا كنا مجرد ذخيرة لانتصار دنيوي عتيد في المستقبل البعيد فلا قيمة لقدورته ولا لمحبه البتة .

واما الاعتراض ففي غاية الموافقة . فهو يرينا باننا في النهاية ، كما ذكرنا آنفاً ، علينا ان ننظر الى ما وراء التاريخ والزمن لكي نبرر ايماننا بمحبة الله العظمى لنا . ولكننا الان نستطيع ان نفعل كذلك بدون ان نظهر باننا نتضرع الى العالم الاخر

ضد العالم الذي نحن فيه . فلقد كان من الخطأ دوماً أن نزيد
مطالبنا من السماء لمجرد قنوطنا من الأرض كالمقامر المفلس الذي
لا يملك ما يخشى خسارته لذلك تراه يزيد صفقاته الأخيرة محاولاً
بيأس أن يعيد بضربة واحدة كل ما خسره سابقاً . ولا يستبعد
أن يتخذ اللاهوت المسيحي مثل هذا الموقف مع أنه غير مشروع
لكنه قد يكون نافعا كموضوع للتحذير . وهكذا نلجأ بدورنا
الى السماء متوسلين لكي نكمل عملية نؤمن باننا نشاهد بوادرها
هنا على الأرض . وهذه البوادر نفسها تعد بالانحياز وتحرك
الايمان الذي هو مادة ما نرجوه وما نصبو اليه . وفي هذا العالم
التاريخي نرى بان اعظم انتصارات الشر انما هي ايضا فرص
لاعظم انتصارات الخير والصلاح التي تعمل بواسطة تضحية
المحبة . ففي اختباراتنا نستطيع ان نشير الى انتصارات جزئية
ولكنها حقيقية ولم تتمكن بعد من رؤيتها وقد كسبتها المحبة
وان تلك الانتصارات تبشر بانتصارات اعظم وأجعد لم نختبرها
بعد ولن نتحققها في هذا العالم . فما رأيناه من انتصارات المحبة
بطريق الفشل لدليل أكيد بان الكلمة الاخيرة والسلطة النهائية
انما هي بيد اله محب . فليس من الاستبداد بشيء ان نفترض اذن
بان الموت نفسه الذي لا يستثنى أحداً قد يكون في النهاية
انتصاراً للمحبة التي هي ابعد من الزمن وقد يكون هو أجعد
انتصاراتها . ويكفي بان نلاحظ هنا بان لا ايمان بقدرة الله
يمكن ان يكون كافياً بدون الاشارة الى القيامة وانه باعتبار
قليل للطرق التي تكتسب بها انتصارات المحبة يمكن ان يجعلها

اقرب منالاً مما يرغب البعض بان يضعها او يريد المتخيلون ان
يتصوروها .

هنالك اعراض ثلاثة من الالم تقدم لنا شاهداً لانواع الشر
وتعاسة العالم . الالم المتزايد و ألم الامراض المزمنة و ألم الولادة .
فنظرية النشوء والارتقاء تحاول ان تفسر وجود الشر كآلم ينمو
متزايداً فتخفق المحاولة وتتخطم النظرية . وتعتبر النظرية التشاؤمية
الشر ألماً عضالاً فتأتي النتيجة قنوطاً محققاً في المحبة والحجة ايضاً .
اما المسيحية فتعتقد بان قوة محبة الله قادرة على تحويل شرور
العالم الى ألم يتولد منه عالم جديد وهو ألم ضروري للولادة
لان حياة العالم الجديد تنبثق من التضحية والتضحية مصحوبة
بالشر ولكن هذا الالم يقبل بفرح عندما تكون التضحية تامة ...

الحياة بعد الموت

هل تبقى احياء بعد الموت ؟

كما تتذثر اوراق الشجر في فصل الخريف هكذا تتهاوى اجيال الناس الى التراب . غير ان الانسانية ما وقفت يوماً امام الموت مستسلمة ولكنها قدمت الاحتجاجات الشديدة واقامت الدليل على ايمانها بخلود النفس . فبينما يقذف الموت ابناءها الى القبور تباعاً نراها قد اندفعت هي منذ اقدم العصور تغرس على القبور الازهار والرياحين وتضع الماء كل على الرموس اعتقاداً منها بان تلك النفس الراقدة ستقوم من سباتها فتجد الطعام معداً فتأكل وترتوي . وهكذا اثبتت بقاء الحياة ايماناً وعقيدة ...

ولكن لا بد من وجود بعض الاعتراضات التي توجه الى الايمان بالحياة الثانية بينها :

ان اكتشافات العلم لا تؤيد الاعتقاد بحياة اخرى بعد الموت . فيقال انه لم يعرف عن نفس بشرية عاشت منفصلة عن

الجسد . ومن جهة اخرى يؤكّد البعض ان للانسان طبيعتين
جسدية وعقلية وانهما متحدتان معاً بصورة يجعل من المستحيل ان
تقضى الواحدة بمجرد فناء الاخرى .

نعم اننا نرى روح الانسان على الارض متصلة بجسده اتصالاً
وثيقاً ولكنه ليس من الثابت بان هذه الروح لا يمكنها ان توجد
مستقلة عن الجسد . وهذا الرأي يتنافى مذهب الماديين القائل بان
الانسان جزء من الوجود فهو اذن غير مستثنى من شرائعه التي
يخضع لها كل كائن . الا ان هذا المذهب مدحوض من اساسه
لانه غير مؤيد ببهوان بل كل من ينظر بانصاف الى الانسان
وحياته وافكاره واعماله يرى بان فيه شيئاً يرفعه عن الكون كله واذا
صح بان فيه ما يرفعه فوق هذا الكون فقد هدم المذهب المادي
من اساسه اذ كيف يمكن ان تسري احكام العالم المادي وشرائعه
على ما هو ارفع منه واعلى . والذي يعلو بالانسان فوق العالم
المادي حتى لا تصل اليه شرائع المادة هو عقله وفكره وروحه .
فهو ليس من العالم المادي بغير جسده واما عقله فافوسع جداً من
الكون واقوى من المادة كما انه سيد عليها .

فعقل الانسان برغم كونه سجيناً في جسده يقيس احجام
الكواكب ويحسب ابعادها ومن مقره الضيق على هذه الكرة
يدرك تكوين العوالم التي لا يصل اليها نورها الا بعد آلاف
الاعوام . وهو يعلم حركات الكواكب فيتنبأ بكسوف بعضها
وخسوف البعض الآخر والتقاءها وابتعادها كأن الفضاء مهما

اتسع ليس الا بحالاً صغيراً عنده وكان اقصى الحوادث في
الكون ليست إلا واقعاً قريباً منه .

وعندما ينتقل فكر الانسان وبصره من اعظم الاجرام
حجباً واقصاها بعداً الى ادق اجزاء المادة التي لا ترى الا تحت
الميكروسكوب يجول فيما لا حد لصغره كما جال فيما لا نهاية
لكبره . فهو في الحالين ينفذ بفكره وبصره الى ما وراء حجب
المادة واشكالها . فكيف يمكن ان يكون منها وهو في سجنه
الضيق يتجاوزها كيف شاء ولا تقف سداً في وجهه بل هو سيدها
وسلطانها يحولها كيف احب ويصرف قواها كيف اراد . وهو
مخترع فما زال ينتقل من اختراع الى اختراع ومن اكتشاف الى
آخر حتى غدا سيد البخار وتسلط على الكهرباء وذلك امواج
البهار هازناً بعجيجهها كما قبض على الصاعقة ورمائها في التراب ،
وعلا في الفضاء طائراً مختالاً واستخدم الاثير لنقل الصوت والصور
من اقصى الارض الى اقصاها . فكيف يجد الماديون لهذه الافعال
اساساً في المادة واين دليلهم على ان هذه المظاهر يمكن ان
تكون مادية ؟

قال بسكال ان الانسان لو سحقه الكون لظل انبل من
الكون واسمى من المادة لانه هو يعلم بان الكون سحقه بينما
الكون لا يعلم من انتصاره على الانسان شيئاً .

وقال جان ملتون في فردوسه المفقود : ان العقل سيد نفسه
وهو الذي يخلق من النعيم جحيماً ومن الجحيم نعيماً .

فما تقدم من الشواهد يتضح معنا بان الانسان عالم والمادة
لا تعلم . وان الانسان مخترع ومكتشف وخالق المادة لان
فيه شيئاً ليس من عالم المادة . اذاً فشرائع المادة لا تسري
عليه . اذاً ليس من سنن وجوده الفناء . اذاً فيه شيء لا يموت
بالموت . اذاً بقاءه بعد الموت حقيقة اكيدة لا تقبل
الجدل .

على ان بعضهم يعترض بقوله ان الاعتقاد بحياة ثانية بعد
الموت علامة نقص خلقي لان في هذه الاحوال تتوقف اخلاق
المرء وسلوكه على ما ينتظره من ثواب او عقاب بدلا من ان
يعمل الصلاح من اجل الصلاح نفسه . غير ان هذا الاعتراض مبني
على الافتراض بان النعيم والجحيم مكانان للثواب او العقاب واننا
في جملتنا الناس على الاعتقاد بوجود النعيم والجحيم لنوحى الى
عقولهم الامل والخوف . وهذه النظرية لا تتفق مع اسمى الفكر
الانساني .

ان الادلة التي تبرهن عن وجود الحياة الثانية فلسفية ودينية .
اما الفلسفية فتتفرع الى المسألة من الناحية التاريخية ومن ناحية
طبيعة النفس فلتأمل في ثلاثة منها :

١ - مدى انتشار العقيدة

يندر ان نجد امة حصلت على قسط من المدنية

خلا تفكيرها من خلود النفس بعد فناء الجسد . اننا نجد هذه العقيدة لدى الصينيين والهنود والفرس والبابليين والعبرانيين واليونان والرومان . وهل نطلب من مصر برهانا افضل من الاهرام القائمة حتى الان دليلاً على عمق العقيدة في نفوس المصريين القدماء . كذلك نجد بان هذه العقيدة منتشرة بين البوذيين مع انها ليست من معتقدات ايمانهم الرئيسية . غير ان الظاهر بان عقيدة القدماء كانت خالية من ان حياة الدهر الآتي لها نفس رونق هذه الحياة ولذتها .

ففي سفر المزامير نجد المرنم يخاطب الله بقوله : هل 'يحدث في القبر برحمتك او بحقك في الهلاك . او تعرف في الظلمة عجائبك وبرك في ارض النسيان (مز ٨٨ : ١١ و ١٢) .

فجهنم في نظر العبرانيين لم تكن سوى مكان للظلام والنسيان حيث لا يكاد الله يذكر . ولكن حتى بحسب العقائد القديمة لم تهلك النفس بمجرد هلاك الجسد بل كانت تحيا حياة مظلمة لا لذة فيها . وفي عرف كثير من شعوب الارض كانت تتأثر تلك الحياة بسلوك وافعال الاحياء على الارض .

٢ - اثبات مطالب العدالة :

ان من اقوى الاسباب الداعية الى الايمان بحياة اخرى الفكرة القائلة ان في الكون نظاماً ادبياً يميز بين الخير والشر .

لانه حالما يرتقي تفكير الانسان الى مرتبة الاعتقاد بان الله خالق لا بد له من الاعتقاد ايضاً بنظام ادبي يدير العالم ويحكمه . ولكن عندما يتطلع الانسان حوله ويطلع على نظام الحياة كما هو يراه مملوءاً بالآلام التي تصيب من لا يستحقها وذلك بانتشار الظلم وقلة العدل . فهو يرى الظلم سائداً ومنتصراً في الارض وليس من عدل في التوزيع بين الناس مادياً ومعنوياً . ففي هذه الحياة نجد الفقير والغني ، الضعيف والقوي ، الكسبيح والمجنح ، الجاهل والعالم ، المظلوم والظالم ، فالحياة غير عادلة كما نراها ظاهرياً . وبما ان العدالة تتخذ طريق التحيز وعدم المبالاة في هذه الحياة فقد عنت للانسان فكرة الحياة الاخرى حيث تجري العدالة يأخذ الحق مجراه فيعاقب كل فاعل شر عما ارتكبه على الارض من السيئات بينما ينصف كل مظلوم ومهضوم حقوق في هذه الدنيا وتعوض احسانات الآخرة عما لاقاه من عذاب على الارض .

٣ - الدليل اللاهوتي :

يقولون ان هذه الحياة لا تهيء الفرصة الكافية لنمو شخصية الانسان . فالانسان حيوان تام لا يميزه عن سائر المخلوقات الا صفاته السامية وهي صفات عقلية وخلقية وروحية ولا يشاركه في هذه الصفات حيوان آخر . فهل يعقل ان يقضي الموت على هذه الصفات يا ترى ؟

لنأخذ الصفات العقلية أولاً نرى ان هنالك مناحي للنمو العقلي لا حد لها ، وان هنالك رغبة متزايدة للمعرفة والاختبار . وكما تقدم الانسان في المعرفة اتسعت امامه آفاق جديدة وظهرت قدامه مرتفعات عليه ان يتسلقها . وكل خطوة يتقدمها انما هي حافز له للزيادة في التقدم . والعقل يدرك انه بإمكانه ان يصل الى ابعاد لا تحد ولذا نراه دائم التشوق الى حياة بعد هذه الحياة ليحقق غاياته .

واذا صدق هذا القول عن العقل فهو اصدق عندما يعني بالاخلاق لان الحياة الانسانية عبارة عن صراع مستمر بين الخير والشر وليس من الممكن ان نحيا ونعمل كل ما نشعر بمقدورنا ان نعمله ونكونه لذلك نرفع اصواتنا طالبين حياة تمكننا من اتمام نمونا في عمل الخير ونهيء لنا الفرص للظفر التام . لذلك نرى ان الاختبارات الروحية التي نبدأها هنا على الارض تتطلب حياة اخرى لتكتمل ويتم نضوجها .

واذا كنا نشعر بضرورة حياة اخرى فيها يكتمل نمونا العقلي والحلقي فاننا نصرخ بكل ما فينا طالبين عالماً آخر فيه تتساح لقوى المحبة ان تظهر وتعمل . اننا نطلب حياة اخرى فيها تنمو المحبة بين افراد الجنس البشري . فجميعنا نشعر بان العلاقات والروابط والصدقات التي نبدأها هنا على الارض ليست سوى بداية وكل ما قدرنا على انجازها في هذه المرحلة من الحياة هو اننا بدأنا نتعرف الواحد على الآخر .

فالحياة عند الموت تكون ناقصة خلقياً وعقلياً وروحياً .
وكم من ملايين عاشوا وقطعوا اشواطاً من المعرفة والانتصارات
الخلقية ثم ماذا ؟ هل نصدق بان الله يخلق مخلوقات ثم يقضي عليها
وعلى احلامها وامانيها بالفناء ؟ وهل يعقل ان الله يخيب جميع
تلك الخلائق القابلة لنمو لا حد له والتي تصبو الى معرفة اعظم
وخلق اعظم فيحكم عليها بالفشل الذريع قبل بلوغها حد النمو
والانتصار الكامل ؟ ان الفكرة بعيدة عن المعقول . فاذا لم
يكن هنالك عالم آخر فما هو القصد من تقدم الانسان وما المعنى
الذي نستطيع ان نفسر به الحياة ؟ ان كل شيء يدل على اننا
عند الموت نكون في فجر الحياة ولا بد من مرحلة اخرى
تتبع هذا الفجر .

علم مناجاة الارواح

يقدم بعضهم ادلة استمدوها من علم مناجاة الارواح فيقولون
بوصول رسائل تحتوي على معلومات ليست معروفة سوى لدى تلك
النفس الراحلة . غير اننا لا نستطيع ان نجزم بان هذه الرسائل
قد صدرت فعلاً عن نفوس راحلة لانه من الجائز ان يقرأ الوسيط
افكار العقل الباطن لدى الاحياء بدلاً من تلقي الرسائل من عالم
آخر . ثم اننا لسنا متأكدين من عدم وجود اشخاص يعرفون
الافكار البشرية ويقرأونها ويمثلون من يشاؤون تمثيله .

الدليل الديني

ان مصدر هذا الدليل هو الايمان بالله وبكتبه المنزلة . لذلك لا يجد هذا الدليل قبولاً عند غير المؤمنين . على ان احكام هذا الدليل ليست مخالفة للعلم لان العلم قصر عن اثبات وجود الله كما قصر عن عدم وجوده لذلك لا يمكن للعلم ان يناقش دليلاً مؤكداً للحياة الخالدة قائماً على افتراض وجود الله .

عندما خلق الله الانسان ميزه ببعض الصفات ومنحه المقدرة على الاتصال به والاتحاد معه وهي الميزة الخاصة التي ترفع الانسان عن الحيوانات كافة اذ لم يدلنا الاختبار على وجود حيوان متعبده لله سوى الانسان . وهذا الامر يحتم وجود نوع من المشابهة بين طبيعة الله وطبيعة الانسان . يؤيد ذلك قول الوحي : نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الارض . فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرأ وانثى خلقهم (تك ١: ٢٦ و ٢٧) . وهذا معناه ان الانسان متصف ببعض صفات الله . وكما نمت هذه الشراكة بين الله والانسان يبذل الله من طبيعته للانسان . . . وخلود النفس هو بعض ما يتصف به الله الخالق والكائن والمكون الذي :-- من قبل ان تولد الجبال او ابدأت الارض والمسكونة . منذ الازل الى الابد انت الله (مز ٩٠: ٢) . انا هو الالف والياء ، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي

يا في القادر على كل شيء (رؤ ١٠: ٨) . لذلك كان من الطبيعي
ان يهب الله لمن خلقهم ليكونوا في شركة معه نصيباً في خلوده
كنتيجة طبيعية لشركتهم معه مدة حياتهم .

انما الشيء المهم ليس مجرد البقاء بل نوع ذلك البقاء العتيد
و كيف سيكون حياة اتصال بالله سبق للشعور الديني ان تذوق
حلاوتها على الارض وعرف طبيعتها الخالدة وآمن بابتدائها .

ثم ان الانجيل يؤيد هذا الشعور الديني ويعززه بدليل
مخاطبة المعلم الاكبر للصدوقيين الذين انكروا قيامة الاموات :
أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله انا اله ابراهيم واله اسحق واله
يعقوب ليس الله اله اموات بل اله احياء (مت ٢٢: ٣١ - ٣٢) .
فالدليل هنا قائم على طبيعة الله لانه ليس بالاله الذي يسمح لمن
عرفوه وعبدوه مدة حياتهم بان يفنوا ويتلاشوا .

فما تقدم معنا نجد ان عقيدة الخلود كانت ولم تزال عقيدة
عامة ولسان حال جميع الامم ان الانسان باق بعد الموت وذلك
منتظر طبعاً وأمر ضروري وينطبق مع غاية الخالق في خلق
الانسان وليبان حقيقة نسبة الله باعتباره حاكماً اديباً للابرار
والاشرار . ثم ان كلاً من الابرار والاشرار يدركه نصيبه
الابددي عند الموت على انه يبقى غير كامل في بعض الوجوه الى
حين القيامة والدينونة والحكم النهائي إما بالحياة الابدية واما
بالموت المؤبد حيث يتوقع الابرار نوال اجسادهم عند القيامة
ودخولهم بالنفس والجسد معاً الى السعادة السماوية والاشرار

يدانون ويبعثون الى الشقاء الابدي (رو ٨ : ٢٣ وفي ١١ : ٣
ورؤ ١١ : ٦ و ٢ بط ٢ : ٩) .

انا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا .
وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الأبد . (يو ١١ :
٢٥) .

مصادر الكتاب

مذكرات وقصاصات كثيرة
ترجمات من مصادر عديدة
اقتباسات من مراجع خاصة
عظات وشواهد خطيرة
جمعت بهذه الحلة للهداية والارشاد !!!

القس
حنّا الخوري

فهرس المواضيع

١٠	الاهداء
١١	تعريف
١٣	الى الاستاذ يوسف ابى رزق
١٤	المقدمة
١٨	توطئة
٢١	ما هي الحياة
٢٨	كيف بدأت الحياة
٣٦	نشأة الانسان
٤٠	مميزات الانسان العقلية
٤٥	معرفة الزمن
٥٠	استخدام الخيال
٥٤	المقصد العظيم
٥٨	الصدقة المجردة
٦١	العلم وكلام الوحي
٧٠	النظرات الفلسفية في الحياة

٧٨
٨٥
٩٨
١٠٩

الحياة الفضلى
قدرة الله ومشكلة الشر في الحياة
الحياة بعد الموت
مصادر الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

١٨٨

١٨٩

١٩٠

١٩١

